8me Année No. 383

Lundi - 4 - 11 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة

« القاهرة في يوم الاثنين ٤ شوال سنة ١٣٥٩ — الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٠ »

العـــدد ٣٨٣

الفهـــــرس

السنويات الأدبيـــة

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إليَّ أكثر من مستفهم يسألون عن « السنوية التاجورية » التي أشرت إليها في تحيتي إلى تاجور من مقال بالرسالة قلت فيه : « خطر لنا أن نرجع إلى السنوية التاجورية لنستخرج الفأل مما كتب فيها من أقوال تاجور بإزاء اليوم التاسع والعشرين من شهر سبتمبر ، ولكل يوم من أيام هذه السنوية كلمة أو بيت أو خاطرة من مأثورات الشاعر العظيم ... »

وهم يطلبون بياناً عن هذه السنوية ، هل هي من صنع الشاعر؟ وهل للشعراء والأدباء المشهورين غير تاجور سنويات على هذه الوتيرة؟ وهل تتجدد في كل سنة أو تصدر في سنة واحدة ، ثم تتكرر على نمط واحد؟ إلى أشباه ذلك من أسئلة وتعقيبات

وسنويات الأدباء والشعراء هي نوع من السنويات الكثيرة التي افتن فيها الطابعون والناشرون في الأمم الغربية

فهناك سنويات لمحبي الأزهار ينشرونها للفن والجمال ، أو ينشرونها للعلم والخبرة العملية . فما كان منها للفن والجمال زخرفوه بنقوش الأزهار الملونة ونثروا خلالها شذرات من أقوال الأدباء والشعراء في الرياض والرياحين ، وجعلوا بعض حروفها البارزة على مثال الورود والأوراق ، وجلوها بما استطاعوا من

جمال الشعر والتصوير . وما كان منها للعلم والخبرة العملية رتبوا فيه مواسم الغرس والنقل وبثوا فيه الوصايا والنصائح عن السقاية والتظليل أو التعريض للنور مما له نفع فى إنماء النبات وإنماء الزهر على الخصوص

وهناك سنويات لمحبى الكتب يذكرون فيها المعلومات المتفرقة عن المكتبات التاريخية والكتب النادرة ونشأة الكتاب فى أطواره المتعاقبة ، وقوانين الطبع والنشر وحقوق المؤلفين والمترجمين وما إلى ذلك من الحقائق والأنباء التى يعنى بها الكتاب والقراء ، وقد يصدرون السنوية بمقدمة نفيسة تختلف كما تختلف المعلومات الأخرى عاماً بعد عام

وهكذا السنويات التى ينشرونهـا لمحبى العصافير أو محبى الرحلات أو محبى الصيد أو محبي الرياضة وما إلى ذلك من ضروب اللهو والمتع النفسية والذوقية . فمن جمعها عنده فليس من الضرورى أن يملأ فراغها ويشتغل بما يشتغل به طلابها وهواتها ، بل لعله يجمع منها مكتبة للمعرفة : كل سنوية منها بكتاب جامع لأشتات الطوائف والمقتبسات والأخبار

أما سنويات الأدباء والشعراء فهي المفكرات السنوية المألوفة التى تخصص منها صفحة أو أقل من صفحة لكل يوم من أيام العام ، ولكنهم يجعلون للأديب أو الشاعر المشهور مفكرة باسمه يصدرونها بترجمته وفصل قيم لكاتب من كبار الكتاب فى نقده والتعريف بخصائصه ومزايا شعره ونثره ، ويقرنون كل صفحة ليوم من أيام السنة بصفحة من مختاراته تناسب الموعد أو تمت إليه بسبب ، وربما اشتملت الصفحة على فقرة واحدة أو بيت واحد ، وربما اشتملت على أكثر من ذلك ، حسب التفاوت فى الحجم والموضوع

وقلما تتغير هذه المفكرات سنة بعد سنة ، ولكن الطابعين المتعددين قد يصدرون مفكرات متعددة لشاعر واحد ، وقد تكون المفكرة المفردة أو المفكرات المتعددة أوفى من أحسن المختارات التى تختار لذلك الشاعر ، وأحظى بالقراءة والنظر من الكتب التى توضع على رفوفها ولا تحمل بالليل والنهار حيثما مضى صاحبها وكلما احتاج إلى النظر فى مفكراته اليومية

وهنا معرض للعجب لا يفرغ منه المتعجب !

فنى الغرب حيث يستغنى القراء عن التشويق والإغراء يوجد التشويق على أبرعه والإغراء على أشده

وفى الشرق حيث يحتاجون إلى جميع المشوقات والمغريات لا يوجد من يُغرِى ولا من يُغرَى ، ولا يزالون على ما بهم من الجهل كأنهم أزهد الناس فى الدرس والاطلاع

وليس هذا وحده بمعرض العجب فى شؤون الكتابة والقراءة عندهم وعندنا

فنى الغرب حيث يظفر الكاتب بأحسن الجزاء من قرائه يعطيهم ما يعطى من ثمراته ، ولا ترهقه الشروط ، ولا تثقل عليه القيود ، ولا يتمحلون له أسباب العيب والتجنى والانتقاص . فليس فى انجلترا من يشترط على برنارد شو مثلاً أن يحلق لحيته ، أو يقلع عن بدعة النباتية فى طعامه ، أو يدين فى السياسة والاجتماع بمثل ما يدين به ، أو ينهج فى معيشته أو اعتقاده نهجاً غير الذى ارتضاه لنفسه

وفى الشرق حيث لا يغنى الجزاء ، ولو وفر القراء ، ترى العالم القارئ أو جمهرة القراء كأنهم الطفل الممعود ، لا أكثر من شروطه ، ولا أقل من زاده ، ولا أعجب من مطالبه ومقترحاته : تعطيه الحلوى فيطلب الفاكهة ، وتعطيه الفاكهة فيطلب الخبز واللحم ، وتعطيه الخبز واللحم فيطلب المطبوخ إذا أعطيته الشواء ، ويطلب الشواء إذا أعطيته المطبوخ ، ويتحكم وهو فى مطعم الصدقة ، أو شبيه بمطعم الصدقة ! ! ثم لا هو بالآكل ، ولا هو بالشارى ، ولا هو بالملتمس العلاج لما عنده من ضعف القابلية قبل أن يلتمس العلاج للطاهى وأصناف الطعام

واسمع غرائب ما يطرق الآذان ويصك الأذهان : فهـذا الكاتب لماذا لا يكتب فى القصة ، ولماذا لا يكتب فى الدين ، ولماذا لا يكتب فى الفكاهة ، ولماذا لا يكتب فى هذه الصحيفة أو تلك المجلة ؟ . . . وهذا الكاتب لماذا لا يطلق لحيته ، أو لماذا لا يقصها ؟ ... وهذا الكاتب لماذا لا يعجب بفلان ولا يقلع عن الإعجاب بفلان ؟ وهذا الكاتب لماذا لا يتوجه إلى جمهرة القراء قارئاً قارئاً ليعفر وجهه بتراب الاعتذار والاستغفار ، ويعترف بما يسومونه من اعتراف أو ينكر ما يسومونه من إنكار ؟

وخذها قاعدة لا ريب فيها أن الشروط عندنا تزيد بمقدار

ما يقل الجزاء ، وأن الجزاء عندهم يزيد بمقدار ما تقل الشروط

أليس هذا بعجيب ؟

بلى . ولكنه عجب فى الظاهر دون الحقيقة ، وما من عجب صحيح فى كثرة الطهاة حيث يكثر الآكلون ، ولا من عجب صحيح فى كثرة الافتنان والتسابق إلى الإتقان حيث يكثر الطهاة فى مكان

فالغربيون يفتنون فى الطبع والنشر والتشويق والترغيب لأن طهاة الأدب كثيرون ، وآكلى الأدب كثيرون

وكذلك تقل الشروط عندهم لأن الطعام مطلوب هنا إن لم يطلب هناك ، وسائغ فى بعض الأذواق إن لم يسغ فى غيرها من الأذواق

أما الطفل الممعود فكيف يعيش الطاهى إلى جانبه ؟ وكيف يقلع عن الاقتراح والاشتراط وهو لا يأكل ولا يشتهى ؟

لو أنه أكل لما اشترط واقترح

ثم إنه ليجد شروطه كاملة وافية دون أن يطلبها ويلح فى تقاضيها ، لأن الطهاة يكثرون حيث يكثر الآكلون ، ثم يتنافس الطهاة فيجيدون ويبدعون .

* * *

لقد أخذنا الفكرات السنوية من الطباعة الغربية ، ولكننا لم نأخذ بعد افتنانهم فى أوضاعها ولا فى موضوعاتها . فقلما تختلف مفكراتنا السنوية بغير الحجم وصنف الورق ولون الغلاف ، وقد يزيدون عليها بعض الحكم والأمثال على غير قصد مرسوم أو تفرقة منوعة

وإنى لأكتب هذا المقال وأود أن يصل إلى طائفة من الناشرين والطابعين فيتخذوا من المفكرات مروجاً للأدب ومن الأدب مروجاً للمفكرات ، ويخرجوا لنا مفكرة للمتنبي ومفكرة للبحترى ومفكرة لابن الرومى ، ومفكرات للجاحظ وابن المقفع ومحمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول وسائر العظماء من الكتاب والمصلحين والقادة فى عصورنا الغابرة والحاضرة . وإذا خيفت قلة الإقبال على مفكرة مقصورة على أديب واحد فلتطبع منها طبعات متفرقة لأدباء متعددين . فيجتمع من الفكرة كأنها ديوان منتخب لأدباء العربية ، ويقتنى القارىء الواحد أكثر من مفكرة واحدة إذا حسن الاختيار والتنويع

ومهما يكن من الإعراض عن القراءة فلا إخال أن الكتيب الصغير الذى يباع بدريهمات ويحتوى ثلثمائة وستين معنى للمتنبى أو المعرى يعدم مئات القراء إذا استكثرنا عليه الألوف ، وقد يقبل عليه من لا ينشط لقراءة الدواوين والكتب ، ولكنه يتسلى بالبيت بعد البيت والمعنى بعد المعنى كلما قلب صفحة لإثبات موعد أو تقييد حساب

* * *

ونعود إلى تاجور الذى بدأناه بالتحية وذكرنا من أجله هذه المفكرات السنوية

فنحمد الله أنه بات بمنجاة من الخطر وأن النبأ الذى انتظرناه مبشراً بسلامته قد سرى بين أرجاء العالم فى هذا العهد الذى ندرت فيه أنباء السلامة ، فكان له جمال الندرة الموموقة وغبطة الترفيه المنشود فى أوانه

ونفتح السنوية التاجورية على شهر أكتوبر فنقرأ له تحية الخريف التى يقول فيها : « السماء يوىء . ويودى أن أتبع السفر[1] الذين أقاموا فى الزورق الأخير لعبور الظلام : منهم من هو راجع إلى مقره ، ومنهم من يذهب إلى الشاطىء البعيد ، وكلهم قد اجترأ على الرحيل ، وأنا على الورد وحدى قد تركت مقرى وأخطأت الزورق وذهب منى الصيف وليس لى فى الشتاء حصاد . وها أنذا أنتظر الحب الذى يجمع الثمرات والخيبات ليبذرها دموعاً فى الظلام ، عسى أن تنبت الثمر حين يطلع النهار الجديد »

ثم نقرأ له فى الصفحة التالية : « تقبّلنى يا رب . . . تقبلنى فى هذه السويعة ، واغمر بالنسيان تلك الأيام اليتيمة التى انقضت فى البعد عنك . وانشر هذه السويعة موسّمة فسيحة على حجرك وتحت ضيائك ، فكم ذا أقتفى الأصوات التى تجذبنى إليها ثم لا تهدينى إلى مكان . فاليوم هبنى يا رب أن أجلس فى سلام حيث أصغى إلى كلماتك من خلال هذه السكينة » .

ذلك وحى الشاعر الذى له رسالة من الغيب وإلى الغيب فى صفحة كل يوم .

عباس محمود العقاد

(١) السفر أى المسافرون

إلى ...

للدكتور زكي مبارك

مولاتي

إليك أقدّم نجوى القلب وحنين الروح ، ثم أعتذر عنك إن سمحتِ ، ففي رسالتك الكريمة ألفاظ تحتاج إلى اعتذار ، فليس من الصحيح أني أصانع فلاناً وأتوسل إلى فلان ، كما تتوهمين ، وإنما أنا رجلٌ مُرُّ المداوة حلو الوداد ، ومن كان كذلك فهو خليقٌ بأن يوغل في مخاشنة أعدائه حتى يوصَم بالإفراط في القسوة والعُنف ، وأن يُكثر من محاسنة أصدقائه حتى يُتهم بالإسراف في الرفق واللين

ومع أني أنزه نفسي عن اختلاق المعايب لأعدائي فأنا أتوفق في ابتداع المحاسن لأصدقائي ، ولست من الذين يستبيحون إيذاء أصدقائهم باسم الحرص على منفعة المجتمع ، أو الصوالح القومية ، لأن الصداقة عندي مبدأ من المبادئ ورأي من الآراء وعقيدة من العقائد ، وأنا أعدّ الاستهانة بحقوق الأصدقاء جريمة روحية تعرّض القلب لعقاب الله ذي العزة والجبروت

أنا يا مولاتي أومن بأني مسئول أمام الله عن واجب التلطف مع أصدقائي ، بل أنا مسئول عن وجوب الاعتقاد بأنهم منزّهون عن المآثم والعيوب ، فاحترسي من اتهامي بالتقرب والتزلف ، فلله غضَبات تنصبُّ على رءوس من يتهمون الأبرياء ، حماكِ الله من التعرض لغضَبات السماء !

وقد يقع أن أصوّب سنان القلم إلى زميل أو صديق ، ثم أظلّ مع ذلك سليم القلب ، أمين الروح ، لأن لي رأياً في البِرّ بأصدقائي ، وذلك الرأي يحتم الاهتمام بآثارهم الأدبية والعقلية من حين إلى حين ، لأني أومن بأن النقد البريء من الغرض صورة جميلة من صور العطف والرفق والإعزاز ، وأصدقائي يرون في هذا المسلك ما أراه ، إلا أن ينحرفوا عن القصد فيروه من مذاهب الاستطالة والكبرياء ، كالذي وقع من فلان وفلان وفلان . على أيامي في محبتهم ومودتهم سلام الروح وتحية الفؤاد !

أما بعد فما هذا الذي تقولين ؟

كنتِ مريضة منذ شهور طوال ؟ ؟ ؟

لله الحمد وعليه الثناء ، فما كان المرض أهول ما أخاف ، وإنما كنت أخاف عليك بَني الغدر وعُدوان العقوق !

كان قلبي في تلك الشهور يهتف بالشوق إلى الروح اللطيف الذي كان يتصدق عليّ بالسؤال من وقت إلى وقت ، ثم انقطع عني مع قدوم الصيف ، كأن لم يَكف ما حلّ بنا من المخاوف مع قدوم الصيف ! كان قلبي يقول ويقول ويقول ، لقد قال كل شيء ، ولم يقل إنك مريضة ، ولو أنه قال لقدمته فداء لأظفر فتاة فهمت أسرار قلبي وسرائر روحي

كنتُ يا مولاتي أرجو دائماً أن أصل من العتاب بالحب إلى محصول نفيس من فهم ما في الوجود من تيارات خفية تصنع ما تصنع في وصل القلوب بالقلوب ، والأرواح بالأرواح ، بلا جهد ولا مشقة ولا عناء

فهل أستطيع القول بأن قلبك الغالي كان من نفائس ذلك المحصول ؟

وأعيذك أن تظني — وبعض الظن حق — أني أستهدي لمحة جديدة من لمحات العطف ، فأنا راض بأن تظلي محجوبة عني ، ما دام لك هوًى في ذلك الحجاب ، فهو على كل حال فرصة ثمينة لن تؤدها أن تقول : أتحداك أن تعرف من هي « ليلى من الليالي »

وأنا يا مولاتي أعرف ، فلقلبي أرصاد وعيون يطّلع بها على الذخائر التي تفرّد بها وطني ، الوطن العظيم الذي ينجب عرائس لها أرواح في مثل روحك العذْب الجميل

وهل يخفى عليَّ منك شيء ؟

في كل لفظة من رسائلك الكريمة عروسٌ تتخطَّر وتميس في دلال وكبرياء ، وفي كل نبرة من صوتك الرنَّان — ولم أسمعه إلا عن طريق التليفون — في كل نبرة من صوتك لحنٌ ينقل قلبي برفق ولطف إلى أجواز الخلود

فإن كنت فتاة حقيقية ، فأنت البشير بأملٍ معسول ، وإن كنت فتاةً خيالية ، فأنت المطلَع الجميل لأنشودة رائعة من وحي الخيال ...

ولي غرضٌ من هذا التشكيك ، فما أحب أن تكوني أنتِ أنت ، لئلا يعرف السفهاء باب التطاول على نجم السماء

إن الغرض الأصيل من نجوانا هو خَلق روح جديد في الأدب الحديث ، ولا بدّ من أن نقول مثل هذا القول دفعاً

هي خلوة أقترب فيها من نفسي بعض الاقتراب ، وأشعر بمواجهة الحب المقدّس الذي يمنّ به الله على أحد الأرواح في إحدى الأحايين ، وأسمع صرير القلم بلهفة وشوق ، لأن كتاباتي لها في أذني وَقْع ، وفي قلبي وَقْع ، وما خططتُ حرفاً إلا وأنا مشغوف بتعرف ما يتسامى إليه من ألحان وأغاريد ، ولو شئتُ لقلت إن طاعة القلم هي التي تجذبني إليه ، فهو لا يَصدُر إلا عن أمري ولا يَصدَح إلا بما أشاء ، وهو لا يخطئ حين يخطئ إلا وهو مؤمنٌ بأن أخطائي أصدق وأجمل من الحق ومن الصواب

فمن كان في صدره عتاب أو ملام لانصرافي عن محضَره الأنيس فليذكر هذا القول ، فأنا لا أصادق من يتوهم أني رجلٌ يخطئ كما يصيب ، وإنما أصادق من يعتقد اعتقاداً جازماً بأن العيب حين يقع مني هو الغُرّة في هلال شوال . وهل كانت لي عيوب إلا في أوهام الذين أبنيهم ليهدموني ؟ جزى الله بعض الزملاء « خير » الجزاء !

وماذا نصنع إذا التقينا يا شقية ، يا شقية ؟

سيهمُّك أن تعرفي الفرق بين زكي مبارك المؤلِّف وزكي مبارك المحدِّث (؟ !)

وسيهمني أن أعرف الفرق بين الفتاة التي تكتب إليّ من بُعد والفتاة التي أراها من قُرب (؟ !)

وعندئذ آثَمُ وتأثمين ، لأن شريعة الحب تبغض هذا الفضول

ألم تقولي في إحدى رسائلك إني أصانع فلاناً وأتوسل إلى فلان ؟

وأين كان التوسل والتصنع وقد صبرت على الحرمان من وجهك الجميل أكثر من عامين ؟

وهل حُرِمت منك عامين أو شهرين أو يومين أو ساعتين ؟

الجواب عند ليلى ، فاسألي ليلى ، ليلى المريضة في العراق ، اسأليها تخبرك أن صدها عني لم يكن إلا فنّاً من فنون الوصل ، والصدّ المقصود ليس قطيعة ، وإنما هو آية من آيات العطف ، لا حَرَمني الله تعقّب ليلاي هنا وليلاي هناك !

أين أنا مما أريد ؟ وهل ترينني أفصحتُ بما أريد ؟

ما نظرت في رسائلك إليّ إلا زاغ بصري وطار صوابي ؟

فهل من الحق أنك تخافين عواقب التصريح باسمك المكنون ؟

أنا لم أجترح معك غير هفوة واحدة يوم استبحت تسجيل صورة من خطك البديع في الكتاب الذي تعرفين ، وقد نُهيتني فانتهيتُ ، فما تحجُّبُكِ عن الحب الذي « أذّبتْهُ عقوبة الإفشاء » فتاب وأناب ؟

على أنني راضٍ عمّا صرنا إليه من الاكتفاء بمصافحة القلوب ، أدام الله عليك نعمة العافية ، وجملك مصباحاً وهّاجاً لبيتك الرفيع ، ولا أراني فيك إلا ما أحب ، يا زهرة الشباب في الوطن المحبوب ، ويا أصدق شاهد على صحة ما قال قاسم أمين وهو يُهدي كتاب « المرأة الجديدة » إلى سعد زغلول

* * *

ثم ماذا ؟ ثم كان العطف النبيل في منحى لقب « أمير البيان » فهل ترين هذا اللقب على سموّه يستوجب الدخول في خصومات كالتي عاناها شوقي « أمير الشعراء » ؟

إن لقب « أمير البيان » أضيف إليّ أول مرة على سبيل السخرية في إحدى مجلات لبنان ، ثم أضيف إلى مرات على سبيل الإنصاف في بعض جرائد مصر والعراق ، فماذا ترين أن أصنع في حراسة هذا اللقب الرفيع ؟

أنا أومن يا مولاتي بأنه لا يمكن لأحد أن يكون أكتب مني ، إلا إذا استطاع أن يكون أصدق مني ، ومن المستحيل أن يكون في الدنيا أحد أصدق مني ، وهل هان الصدق حتى يكون لي فيه منافسون من أبناء الزمان ؟

الصدق يحتاج إلى تضحيات عظيمة جدا ، ومن تلك التضحيات ما تعرفين وما تجهلين ، ولو علمت الغيب يا شقية لعرفت أن الصدق جرّني إلى معاطب ومهالك لا يصبر على محرجاتها ومُؤذياتها إلا من كان في مثل إعاني ، وقد صبرتُ وصبرتُ حتى اتهمني الناقلون بالبلادة والجمود ، لأنهم لم يعرفوا أن دنيا الأدب فيها مبادئ تروض أهلها على الترحيب بمكاره الظمأ والجوع ، إن جاز القول بأن الله رضي لحظة واحدة بأن أحس مكاره الظمأ والجوع ، ولن أموت إلا مقتولاً بنعمة الترف في الطعام والشراب ، فليغفر الله ما أدّعيه زوراً من الترحيب بمكاره الظمأ والجوع ، وهو الغفور التواب

وهل أنسى يا شقية أن الصدق حرمني نشوة الاستصباح بوجهك الوهاج ؟

سيجموند فرويد
العالم النفسانى الكبير
للأستاذ صديق شيبوب

— ٥ —

حين أربى « فرويد » على السبعين كانت نظرياته فى علم النفس قد استحكمت حلقاتها وقامت كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً بعد أن عمل على تشييدها جزءاً فجزءاً ، وكان (الجزء يلد من الجزء تباعاً) كما يقول : « ليوناردو دى فينشى » . وأخذت هذه النظريات تؤثر فى كل علم وفن . فهل استراح هذا الشيخ مطمئناً إلى ما قدم من خدمات وما أحرز من نصر ؟ »

لا شك أنه رأى مجال العمل ذا سعة ولكن أزعجه أنه سوف لا يجد فسحة من الأجل لإتمام ما يبتنيه من بناء المستقبل . لذلك صار يلقى من الذروة التى تسنم قمتها نظرة شاملة على الماضى على طريقته التحليلية المعهودة ، ولكنه بدلاً من أن يعالج الأعصاب والنفس فى الفرد ، أخذ يعالج العالم ويبحث التاريخ كمجموعة إنسانية فريدة ، وبدلاً من أن يوجه أبحاثه شطر المادة أخذ يسوقها ناحية المسائل النظرية بالرغم من أنه كان يأبى هذا التوجيه فى شبابه ، وهو القائل من قبل : « إنى لا أرضى عن تركيب النظريات العامة » فكأنه أراد أن ينتحل لنفسه الأعذار حين قال :

« لقد طرأ على أساليبى فى العمل تغيير لا أنكر نتائجه . كنت من قبل لا أعرف كيف أحتفظ فى نفسى بنظرية أعتقد أنها جديدة وكنت أفضى بها بالرغم من أنه لم تجتمع لدى الأدلة على صحتها ... لأن الزمان كان منفسحاً أمامى ، كان الزمان خضماً واسعاً كما يقول شاعر ظريف . وكانت مواد البحث تتدفق عديدة بحيث أجد من الصعوبة اختيار كل ما بين يدى . أما اليوم فقد تغير وضع الأشياء فالزمان محدود الأجل ، وفيه من الفراغ ما لا يسده العمل بعد أن تضاءلت ظروف الاختبارات الجديدة . فقد أصبحت لا أجرؤ على الإفضاء بما أكتشفه من جديد مخافة ألا أجد متسعاً من العمر للتدليل عليه ... »

سلخ « فرويد » خمسين عاماً من حياته لا يقابل فيها غير مرضاه ، ولا يعرف من الإنسانية غير أفرادها المصابين التاعسين فلا غرو إذا نظر إلى الحياة فى مجلها نظرة مليئة بالتشاؤم فى الكتابين اللذين وضعهما فى طور شيخوخته وهما « مستقبل وهم » و « علة المدنية » ، ولا غرو إذا قرر أن « الحياة عبء ثقيل على الإنسانية جمعاء كما هى على كل فرد »

عرض « فرويد » للانسانية فى عصرنا الحاضر فوجد أنها بلغت من الرقى حداً بعيداً بينما لم يستطع هذا الرقى أن ينيل الفرد السعادة التى يصبو إليها كل إنسان

وللتدليل على هذا استعرض « فرويد » تاريخ العالم منذ الإنسان الأول أى منذ كان الإنسان يجهل القوانين والأخلاق ويعبث كالبهيمة حراً طليقاً من كل قيد . وعندما تألفت الجماعات والقبائل حد هذا التآلف من أطماع الفرد وأهوائه ، لأن كل حياة اجتماعية مهما كان شكلها أولياً تحد من حرية الفرد فى سبيل إخوانه ، فصار لزاماً عليه أن يمتنع عن أشياء كثيرة ، فاستحدث الحرام والحلال ، ونشأت التقاليد والتواضع والحقوق والواجبات واستتبع هذه جميعها العقاب الذى يقع على من يخالفها

هل أنسى أن الصدق جعل لأعدائى حججاً دوامغ فى مقاومة مؤلفاتى ؟

الصدق فى الدنيا غريب ، وأنا فى الدنيا غريب ، والله هو المسئول عن رعاية الغرباء !

أما بعد ، ثم أما بعد ، فسأظل إلى الأبد عند ظنك الجيل ، وسأغفر لك التطاول علىّ من حين إلى حين ، لأنى آخر من يتذوق تجاهل المحبوب لأقدار الحبيب

من نعم الله أن نعيش قلباً إلى قلب ، لا جنباً إلى جنب ، فما كان الهوى العذرى إلا الروح المكنون فى قصيدة الوجود وإلى اللقاء يا شقية فى عالم الفكر والوجدان

ولكن متى ؟ متى ؟ متى ؟ وأنت تؤمنين بأن البخل أشرف خلائق الملاح !

قالوا عشقت فقلت كم من فتنة ... لم تغن فيها حكمة الحكماء
إن الذى خلق الملاحة لم يشأ ... إلا شقائى فى الهوى وبلائى

زكى مبارك

ولم تلبث معرفة الحرام وخوف العقاب ، وكانتا ظاهرتين ماديتين ، أن نفذتا إلى رأس الفرد وقلبه فاستحدثتا فيهما ما هو أبعد من الذات المادية ، أى أنهما أوجدتا فيه الضمير ، ونشأت فى الوقت نفسه الثقافة العقلية والفكرية والدينية ، وأوجدت فكرة الإله القدير العليم يقظة الضمير وكبت الشهوات فتحولت القوى المادية التى كانت تحرك الإنسان الأول إلى قوى عقلية وأخلاقية خالقة وأخذت تسيطر على العالم حتى أخضعت عناصره واستخدمتها فى سبيل غاياتها

ثم قرر « فرويد » أن الاختراعات والاكتشافات التى قربت الإنسان من درجة الألوهية من حيث الخلق لم توفر للانسانية أسباب السعادة ولم تدخل الغبطة والسرور عليها . وسبب ذلك أن الثروة الثقافية التى انتهى إليها الإنسان لم ينلها مجاناً لأن ثمنها الحد من حرية الغرائز . وكل ربح للانسانية خسارة تلحق بالفرد فى أسباب سعادته

تعاودنا فى أحلامنا ورغباتنا الغرائز التى أجبرتنا المدنيـة والأخلاق على كبتها ، ولا تزال الذات الأخلاقية تصبو إلى الفوضى والحرية والحيوانية التى كان الإنسان الأول يتمتع بها . فكأننا نفقد من حيوتنا كلما تقدمت المدنية . ويحق لنا إذن أن نتساءل : هل المدنية لم تسطُ على نفس الفرد ، وهل (ذات) المجتمع لم تصب (ذات) الفرد بغبن فاحش ؟

فما هو الدواء الذى يصفه « فرويد » لمعالجة العلة التى وصفها ؟

إن علم تحليل النفس يقرر نظرياً تفوق العقل الباطن والغرائز على العقل الواعى ، ويقرر عملياً أن تغلب العقل الواعى هو الوسيلة الوحيدة لشفاء الإنسان

ترى هل يصف « فرويد » للمجتمع ما قرره من قبل للفرد بعد أن لاحظ ما فى قوله من الاختلاف بين النظريات وبين العمليات ، وهو الذى قرر بشكل حاسم أن الغرائز الهمجية هى التى تسيطر على العقل

كان فرويد قد شهد الحرب الأخيرة ، ولاحظ تغلب الغرائز على العقل ، فلم يقرر علاجه تقريراً باتاً ولكنه رجا أن تصل إليه اليد الإنسانية بعد ردح من الزمان متعللاً بالأمانى فقال : « نستطيع أن نستمر على القول فى حق بأن العقل الإنسانى ضعيف إذا قيس بالغرائز ، ولكن هذا الضعف أمر عجيب . إن صوت العقل خافت ولكنه لا يفتأ يتردد حتى يسمع ، والعقل لا أشك واصل إلى غايته فى النهاية بالرغم من انحداره أكثر من مرة ، وهى ظاهرة من المسائل النادرة التى تحملنا على التفاؤل فى مصير الإنسانية .

إن تفوق العقل قائم فى منطقة نائية ، ولكنها ربمـا كانت غير بعيدة المنال »

* * *

وكان آخر مؤلفات « فرويد » كتابه عن موسى وفكرة التوحيد عنـد اليهود ، وهو الكتاب الذى قرر فيه أن موسى لم يكن من العبريين ، وأنه كان مصرياً مستدلاً على ذلك باسمه . إن كلمة « موسى » فى رأيه مصرية معناها الطفل أو العبد بدليل اسم الملك « تحوتمس » أو « تحوت موسى » أى عبد « تحوت » فيكون اسم موسى اختزالاً كما نقول بالعربية « عبده » لعبد الله . وقد أطلقت ابنة فرعون عليه هذا الاسم المصرى الذى لم يكن معروفاً عند العبرانيين

كان موسى من رجال حاشية الملك أخناتون الذى كان أول من قال بالتوحيد عند قدماء المصريين ، وجرى بعد وفاة هذا الملك أن ثار الكهنة واستردوا سلطانهم فتفرق أشياعه ، ومنهم موسى الذى هرب من مصر وأخـذ معه الإسرائيليين لأنهم كانوا مستعبدين مضطهدين

وقد عرض فى كتابه لأدلة عديدة مثل مصرية أسماء اللاويين الذين يقول إنهم كانوا أشياع موسى ، واقتباس العبريين عن المصريين الختان وتابوت العهد وهندسة بيت المقدس إلى غير ذلك مما يطول بنا بيانه .

* * *

هـذه آثار « فرويد » فى العلم والفكر . ولا شك أن اسمه سيظل عالقاً بنظرية العقل الباطن التى اكتشفها والتى جعلته زعيم مذهب تشيع له علماء كثيرون نذكر فى طليعتهم « يونج » و « ادلر » اللذين بنيا أبحاثهما على نظرياته ووصلا إلى نتائج تختلف عن نتائجه خصوصاً فى تفوق الغريزة الجنسية والليبدو ، وقد أرادا بهذه الكلمة الأخيرة معنى آخر غير الذى قرره لها « فرويد »

على أن أثره لم يقتصر على علم النفس وطب الأعصاب بل تعداهما إلى مختلف العلوم والفنون كالتربية (بداجوجيا) ودرس الميثولوجيا والشعر والنقد والفنون الرفيعة

حين قرر فرويد أن الناس قد يتشابهون فى أجسامهم ولكن نفس كل فرد كائن قائم فى ذاته لا وجه للشبه بينه وبين غيره فتح باباً جديداً، لا فى العلم فحسب، بل فى فن النقد والقصة وكتابة التراجم، وجعل من بعض العلوم التى كان العلم الحديث يعتبرها ضرباً من الوهم كقراءة الطالع بواسطة النجوم أو الكف أو الكتابة علماً يقوم على نظريات جديدة لعلها صحيحة

وخلاصة القول أنه مهما اختلف العلماء فى الحكم على مذهب الفردية من ناحية العلم والأخلاق فلا سبيل إلى إنكار فضله لأنه أفاد الإنسانية فوائد جمة فى مختلف النواحى فسار بها شوطاً بعيداً فى التقدم والرقى وساعد على تخفيف ويلاتها وزاد فى ثروتها العلمية والفنية فاتسعت آفاق البحث وتشعبت أصوله وفروعه .

١٥ ٥ ٣٧ صبرى شيبوب

فخرى أبو السعود

للأستاذ أحمد فتحى مرسى

قضى الأستاذ الشاعر فخرى أبو السعود — طيب الله ثراه وخلد ذكراه — فانطوى بموته صديق يعزّ على الأصدقاء فقده، وأديب يشقّ على الأدب رزؤه فيه، وعالم لن ينساه العلم وإن نسى الكثير غيره، فمن حقه علىّ أن أكتب، ومن حقه على الرسالة أن يتسع صدرها لما أكتبه عن أديب طالما طلعت علينا بالكثير من آياته وغرره .

قال البعض إنه مات منتحراً برصاص مسدسه فى لحظة ضيق بعد أن خط هذا البيت على رقعة :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثلاثين حولاً - لا أبالك - يسأم

وقيل إنه فقد ولده فى باخرة ترحيل الأطفال الإنجليزية التى أغرقها الألمان، وقيل إنه انقطع اتصاله بأسرته فى إنجلترا، وقيل إن فى الأمر جريمة قتل ... إلى غير ذلك مما يذيعه الناس فى مثل هذه المناسبات، إذا عمى عليهم الأمر ووقعوا فى الحيرة، فذهبوا يتقصصون الآثار، وينتحلون العلل، ويضربون فى الأوهام ... ثم انبرت أسرته تكذب كل ذلك وتقول إنه مات برصاصة طائشة من رصاص مسدسه أثناء إصلاحه ... كل ذلك لا شأن لنا به

فلقد مات الرجل — رحمه الله — وانقضى الأمر ؛ إلا أن ما عرفته فى فخرى طول صحبتى له من صموده للحياة، وثقته بالله وعدم تطيره من الحادثات، يجعلنى كثير الشك فيما قيل عن الانتحار ... فقد كنت معه مرة فى معرض الحديث عن مقال فى الانتحار لأديب كبير، ثم تطرق بنا الحديث إلى ذكر فلان من أدباء الشباب — وكان فخرى يعجب بأدبه ولا يعرفه — وأنه قد حاول الانتحار فى ذلك الحين، فسخر فخرى منه، فلما عرضت على فخرى أن أعرفه به ابتسم قائلاً : « إننى لا أود أن أعرفه »

* * *

عرفت فخرى أول ما عرفته فى أول عهده بالتدريس فى المدرسة العباسية الثانوية، وكان ناظرها فى ذلك العهد الأستاذ عبد الرحمن شكرى . قدّمنى إليه صديق، فخلت بادئ ذى بدء، أنه أحد الطلبة، فقد كان — رحمه الله — ضئيل الجسم، قصير القامة، قليل الكلام، شديد الخجل، لا تبدو عليه سنه ؛ فلما قدمه الصديق إلىّ، خلت أنه هازلٌ لا جاد، أو أنه ربما اشتبه عليه الاسم — فكثيراً ما تتشابه الأسماء — ، وساعد على ذلك أن الصورة التى كنت رسمتها لفخرى فى ذهنى - من المطالعة - تتباين مع ما أراه جدّ التباين ؛ فسلّمت عليه فى فتور ووناء، ثم إنه كان قليل الكلام — كما قدمت — فتوهمت أن ذلك قلة مبالاة، فقابلته بالمثل، فكانت مقابلة جافية أسرّها لى فخرى، وعتب علىّ بعد ذلك بزمن

ثم مضت الأيام فذهبت إليه فى بعض الشأن، وكنت قد نشرت قصيدة بجريدة الأهرام بعنوان « الصباح »، فقابلنى مقابلة طيبة، وجلسنا نتحدث عن القصيدة، ثم عن الشعر فى مصر، ثم قرأ لى قصيدة عنوانها « نجوم السينما » كان يعدّها للرسالة، وأهدى إلى كتابه عن الثورة العرابية ؛ ... ثم تكررت المقابلات بعد ذلك، واتصلت بيننا أسباب المودة، فكنا نلتقى فى أكثر الأيام

نقل نخرى بعد ذلك إلى الرمل الثانوية ، وتركت أنا الأسكندرية ، ثم عدنا فالتقينا فى الأسكندرية بعد ذلك بعام ، وكنت قد اتصلت بالرسالة ، وكان قد بدأ يكتب فيها سلسلة مقالاته عن المقارنة بين الأدبين العربى والانجليزى ، فأثارت اهتمام كثير من الأدباء ، وقد أبدى لى الأستاذ الزيات إعجابه بها أكثر من مرة ، وكتب إلى نخرى يقول فى ختام خطاب له — أطلعنى عليه نخرى — : « فأستزيدك ، ثم أستزيدك ، ثم أستزيدك » . وكان فى نية الأستاذ الزيات طبع هذه المقالات بعد إتمامها ، ولكن نخرى لم يتمها

ظهرت بعد ذلك مجلة الرواية ، وبعد ظهورها بنحو عام وقعت جفوة بين نخرى وبين الزيات أدت إلى قطع هذه المقالات ، وانقطاع نخرى عن الرسالة ... قابلته بعد ذلك بحين فشكا لى شيئاً من ركود الذهن بعد انقطاعه عن الرسالة ؛ وقال لى إنه شديد الخجل لأن الأستاذ الزيات ما زال يرسل إليه مجلتى « الرسالة » و « الرواية » فى حين أنه لا يؤدى له أية خدمة نظير ذلك ...

وظهرت فى ذلك الحين مسابقة وزارة المعارف فى التأليف ؛ فعرض علىّ بعض ما كتبه . وكان — رحمة الله عليه — كثير الشك فى الفوز ، فطمأنته ورجوته أن يتمّ ما بدأ ، فأتمه — وأظنه فاز بجائزتين — ؛ ثم انقطع حيناً عن الكتابة وانصرف إلى القراءة ، وكنت ألقاه فى ذلك الوقت كل يوم تقريباً ، فنمضى سيراً على الأقدام فى طريق « الكورنيش » ، ويمتد بنا الحديث فى الأدب والجدل أحياناً حتى نجد أنفسنا فى جهة لم نكن نقصدها ؛ وكثيراً ما كان يشغلنا الحديث حتى نقطع فى السير مسافات بعيدة دون أن ننتبه ؛ فقد كان رحمه الله يؤثر السير على الجلوس ؛ وكان شديد النفور من المجتمعات ولا أذكر أننى رأيته مرة فى مقهى أو منتدى ؛ ولعل ذلك هو السبب ، فى سعة اطلاعه، ووفرة إنتاجه ، فكان يقسم فراغه بين التريض والقراءة ، والكتابة . والظاهر أن ذلك يرجع إلى طبيعته الهادئة ، فقد كان يكره الضجة ، ويتجنب الناس . وكان منزله فى بقعة هادئة من رمل الأسكندرية ، وحتى طفله يبدو لى أنه ورث عنه هذه الميزة ، فكان ينفر من الغريب ، ويبتعد عن الناس ، أذكر أنه تركه معى مرة وذهب لبعض شأنه ، فجعل الطفل يصرخ ويبكى ويتملص منى ليجرى ، وعبثاً حاولت تهدئته ولكنه لم يهدأ حتى عاد والده فسار إلى جانبه مبتعداً عنى

* * *

ولا أود أن أختم هذه الإلمامة قبل أن أشير إلى دراسة نخرى واتجاهه فى الأدب ؛ فقد تخرج فى المعلمين العليا واشتغل بعض عام بالصحافة ، ثم اختارته وزارة المعارف فى بعثة لها فتخرج فى جامعة إكستر فى انجلترا — وهناك تزوج من زميلة انجليزية له فى الدراسة — فلما عاد اشتغل بالتدريس فى المدرسة العباسية الثانوية بالأسكندرية ، وكان نخرى — رحمه الله — كما علمت منه مكباً على القراءة من صغره ، ولا سيما قراءة القديم ، حتى أوشك أن يستظهر كتباً بأكملها ، ويظهر ذلك جلياً فى أسلوبه ، فتمتاز كتابته بقوة الأسلوب وجزالة الألفاظ . كذلك تبدو فى شعره محاولة تقليد القدماء ، وقد تأثر فى هذا بالبارودى ، وكان يحفظ جل ديوانه ومختاراته . وكان يؤثر من الشعراء القدماء أبا تمام وبعض شعراء الجاهلية لا سيما طرفة بن العبد . كل هذه الدراسات القديمة كان لها أثر واضح فى شعره لا يخفى على قارئه ، وكان يختار منها أكثر شواهده فى مقارنته بين الأدبين العربى ، والإنجليزى . وكان يؤثر العقاد على شوقى وحافظ ، وكثيراً ما قام بيننا جدال طويل فى ذلك . وكان رحمه الله ينظم الشعر فى سيره فتراه يغمغم فى سيره بكلام لا تستبينه لانخفاض صوته ، حتى إذا جلس كتب ما قال ، ولا يزال كذلك حتى يتم القصيدة

وهناك ناحية تجب الإشارة إليها هنا وهى ضيق صدره بالنقد ، وإن كان سلم منه فى الصحف ، وكثيراً ما كنت آخذ عليه ذلك . حدث مرة أن عثرت له على بعض أخطاء فى نسبة الشواهد ، وعلى هنة لغوية فى قصيدة له ، وكان فى ذلك العهد يقضى الصيف بانجلترا ، فانتظرته حتى عاد فنبهته لذلك فغضب منى ، ودعانى فى اليوم التالى وقد جمع لى بعض ما كتبت فى الرسالة وجعل ينتقد لى بعض المعانى حتى يرد على بالمثل

وقد نشر نخرى القسط الأكبر من كتابته بمجلة الرسالة ، واتصل فى أواخر أيامه بمجلة الثقافة وجعل يكتب بها حتى توفاه الله ، وفيما عدا ذلك له متفرقات بجريدة الأهرام والهلال وغيرهما

عودة الى الروض!

للأستاذ محمود البشبيشي

كنت أعلم أن للقلم غفوة كما للقلوب ، ولكن لم أكن أدرى أن للقلم صحوة كصحوة القلوب

وما كنت أعلم أن القلم يدرك معنى الحنين ، ويحس لوعة الفراق ، وأنه كالقلوب تحس أن الحنين دليل الرغبة ، والرغبة سبيل المودة

لم أكن أعلم هذا ، حتى قرأت كلمة الدكتور الفاضل زكى مبارك ، فأحسست أن القلم غلبه الحنين والشوق ، وأنه أصبح من مادة القلوب يسيره الشعور ويأمره فيطيع !

... ودبت فيه الحياة من جديد ! وأخذ يعطرنى وابلاً من الخواطر السيالة بالعاطفة ، المتلألئة بالنور ، الفواحة بالزهر ، تخلص من فكرة لفكرة خلوص كلمة الحب من قلب الحب! نقية طاهرة.

وللقلم حق عزيز علىّ ... آه من تبماته ورغباته !

فيا ليتك يا صديق ما تلفت فهجت أحلاما كانت هى أيضاً فى حلم ! ويا ليت قلبى ما تلفت وتسمّع ... ياليته ، ياليته !

فأيقظ القلم وحرك الطبيعة الكامنة فى النفس كون سر الحياة فيها ... أنت السبب فى كل ذلك يادكتور ... أنت السبب فى العودة وحنين المودة ، فقد أحسست روحاً غريباً ينشره أريج كلماتك سحراً تتلفت إليه القلوب فيقيّدها ! ثم هى برغم ذلك تهنأ بالقيد لأنه قيد روحى نبيل فى ضغطه على النفوس ... فأعجب لقلب ينعم بأن يتعذب ويتعذب بأن ينعم ! إننى هذا القلب الغريب!

فن الناس من يرق ويرق ، وينبل وينبل ، ويدق شعوره حتى يُصبح كل جزء من جسده البشرى قلباً حياً ... !

وأنت أيها الصديق من هذه القلوب التى تمشى على الأرض ! وتتألم لأنها لا تستطيع إلا أن تتألم ، وتحب لأنها لا تستطيع سوى أن تحب ! هى حرة فى كيانها وليست بحرة ... صريحة فى فعلها وميولها وليست بصريحة ... يقيد حريتها خوف الجور على حرية الغير ! وهذا نبل جميل ... ويمنع صراحتها خوف جرح قلوب الغير ... وهذا نبل آخر ...

أنت من هذه القلوب أيها الصديق وإن احتار فى أمرك الكثير ، وطالبك البعض برفع القناع عن زكى مبارك الأديب . وليتهم قالوا عن القلب المبارك الأديب !

أيها القراء إن أردتم معرفة زكى مبارك الرجل فأنا أقول : إنه الوفاء والشهامة والسهولة فى الطبع ... وإن أردتم معرفة زكى مبارك الأديب أو القلب المبارك الأديب واحترتم فى أمره فعليكم بما كتب وما سوف يكتب فى عالم الحب والجمال وصوفية الحب والجمال

هناك تلمسونه روحاً تتدفق ، وقلباً يعرف كيف يحب وكيف يكره ، كيف يصارح وكيف يرائى ، كيف يتألم فيستر الألم لعزة فى نفسه ، ويفرح فيملأ الدنيا غناء ، لأنه قلب إنسانى كما قلت لا يحب أن ينعم وحده . بل يسعده أن يُطلع قلوب الغير على أطياف السعادة !

أيها الحائرون فى أمر الدكتور ، أنا لا أرى سبيلاً للحيرة فى أمره . وكيف تصح الحيرة فى رجل « يقتل الوقت والعافية فى تذكر القلوب النوادر ، وفى دنياه تكاليف تميد من أثقالها الجبال . لأن الموجب معروف وهو الوثاق المسطور فى اللوح المحفوظ بألا تميش روح إلا مجذوبة إلى روح »

كيف الحيرة فى رجل يرى من يكذبه صادقاً . لأنه كاذب فى تصوير ما يمانيه !

من الصحف ، هذا غير كتابيه (الثورة العرابية) وقصة (تيس)

* * *

رحمك الله يا فخرى ، وأجزل عزاء الأدب فيك ، ولطف بأصدقائك وعارفيك . فقد كنت نعم الأديب ونعم الصديق ...

هذا بعض حقك علىّ ، أرجو أن تجد لى العذر إن كنت قد قصرت فيه أو أخطأت ، فإن الحزن يغالب خاطرى وذاكرتى كلما أمسكت القلم لأكتب عنك ، أو أنا كما يقول شوقى :

رثيتك لا مالكا خاطرى   من الحزن إلا قليلاً خطر
سقتك الدموع فإن لم   يدمن كادتهن سقاك المطر

أحمد فهمى مرسى

تلك يا دكتور فلسفة جميلة، وأجمل منها أنك أحكمت أحبولة الرياء فى وجه الوشاة والعذال . إنه رياء نبيل حقاً . . . ولـكنى فى حيرة من أمر ذلك الرياء الذى تقربت إلى الله به . أنا فى حيرة فهل لك أن تأخذ بيد صديقك من هذه الظلمة فيطمئن قلبه عليك وعلى نفسه ! أهو رياء المجد كل ما فيه حب ووفاء ! ... ما أصدق حنين القلم وما أجمل العودة إلى الروض !

يا صديق ... لست أدرى أى سحر فى ظلال دوحة أفكارك استطاع أن يخرجنى من صمت ظننته لا يفارقنى ولا أفارقه . . . أى سحر يا صديق أى سحر !

تُرى هل ودعنى الأدب يوم ودعته لغير عودة ، وفى نفسه أن يعود ، وأن يكون بعثه على يدك يا دكتور ، وإلا فما هذا الصوت الغريب الذى يناديني من ثغور أزهارك ؟ وما هذه الألوان النفسية الصوفية التى تغمرنى من خواطرك الجريحة فى الشوق والحب !

تسأل يا دكتور ماذا تضمر الدنيا فى أيامها المقبلات ؟ ! إنها تضمر الخير والحب والنور والمجد ، وما كان لها سوى أن تضمر ذلك للقلب الذى صير الحديث عن الوفاء والحب شريعة من شرائع الوجود ! ! للقلب الذى يسأل أين بائع النسيان ؟ وأين بائع السلوان ؟ للقلب الذى علمته صوفية الحب ألا يرائى من يبغض ، ويرائى من يحب ! ! إنها القلوب أيضاً يا دكتور لها من منطق شعورها صراحة لا يعرفها سوى الذين خلقوا وكل ما فيهم قلوب حية ! !

يا طالما أحسست فى نفسى شيئاً لم أستطع إدراكه ، ومر على قلبى إحساس لم تفسره دقاته ! ولـكننى اليوم واليوم فقط علمت هذا الشىء وعرفت هذا الإحساس . إنها أغنية العودة إلى الروض ، أغنية القلم تذكرنى بأيامه ولياليه، بل بأيامنا ولياليناأيام كنا يا دكتور نصل الحديث بالحديث ، نتقابل لنتكلم فى النثر والشعر ، ونفترق لنعود للنثر والشعر ... أيام كانت نفس تشعر بالحياة لأن كل شىء فى الحياة يشعر بها ... وقبل أن تسود الضمائر وتجحد الأيادى !

... لا يكاد يظهر كتاب حتى نقتله بحثاً أو ننقده نقداً نزيهاً يملمه الدكتور . تذكرت هذه الأيام والليالى ، وما كان منا فى هذه الأيام والليالى ، وهاجت الذكرى فى نفسى فأصبحت شعوراً قوياً ، وكبر الشعور القوى فصار رغبة ، وتجسمت الرغبة فكانت عودة إلى الروض ، الروض الحبيب ، روض الأدب ، وكنت أنت باعث هذه الرغبة وصاحب الفضل فى تلك العودة

فيا أيها القلم تحية لقاء حبيب منى ! . . . علم الله ما تركتك زاهداً ... إنما عز علىّ أن أشرعك فى وجه من يشرع فى وجههم السيف وشىء آخر أحقر من السيف ! ولكنها عودة جميلة ... ومن العيب أن أناديك فلا تلبى النداء ... إن الروض قد ابتسمت أزهاره فلم لا تبتسم ... وإن رفاق الفكر والقلب ينتظرون منك الأغنية ... والعودة إلى الروض ... بعد أن ظن رفاق السوء أنها غفوة لا صحوة بعدها ! أيها القلم ، عزيز علىّ هذه الغيبة الطويلة ... وحبيب إلى هذه العودة الجميلة ... وليعلم الذين جحدوا آياتك . . . أن الدائرة تدور . . . وأنك بالمرصاد ! وأن القلب الكريم إن هو لم يثر فى وجه المتعدى يوماً فله عودة وعودة غير عودته إلى الروض !

(المنصورة) محمود البشبيشى

عراك فى معترك أى معترك

للأستاذ زكى طليمات

هذا التحدى بالسباب من جانب الأستاذ محمد متولى[1] نرده إلى صاحبه

نحن هنا ، على صفحات هذه المجلة للأدب الصرف وللعلم الخالص ، وقد نكون فى غيرها لما يريده الأستاذ الجامى الثقافة . لهذا نقول له إننا نحجم عن ذلك فى هذه الصحيفة ، لا إكراماً لشخصه ولا ترفقاً لحاله ، لأن من يقذف الناس بالحجارة من غير مبرر لا يرده ويحسن تأديبه إلا القذف بما هو دون الحجارة ، ولا لأى اعتبار آخر سوى وقار الموضوع الذى تبادلنا الحديث فيه ، وهو موضوع جدير بالرعاية فى معالجته على الوجه الصحيح . كشف عن لون جديد من ألوان المعرفة ، وتقرير صنف حديث من أصناف التأليف المسرحى ، نقول إنه موضوع طريف ، أثار وسيثير حوله جدلاً طويلاً ستتبارى فيه الأقلام ويختبر المعارف وتسقط الأقنعة الزيفة عن الوجوه ، فيتضح - وليس للمرة الأولى - كيف أن النقد يجب أن يقوم قبل كل شىء على الخلق الرضى المتواضع لا على التعلم الزهو فحسب ، لأن التعلم وحده لا يحقق إنتاج الأديب الأصيل الذى يصدر أحكامه عن عقيدة مخلصة فى الحق والعدالة ، وكيف أن الذكاء وهو من صقل التعلم ، مجرداً عن الخلق العادل ، إنما يكون أداة للتضليل ومعولاً للشر ، ثم ينهض البرهان من جديد على أن بعض التعلم « وإن أذهب عن العاقل طيشه ، فإنه يزيد الأحمق طيشاً ، كما أن النهار يزيد كل ذى بصر نظراً ، ويزيد الخفاش سوء النظر »

نحن إذن أمام قضية خطيرة للعلم وللقراء ولهذه المجلة ، قضية يجب أن يقضى فيها بشرعة الحق وبقسطاس العلم ، والعلم أمانة ، وذهن القارئ أيضاً أمانة لدى الكاتب ، ولدى أستاذنا صاحب هذه المجلة

لهذا ، سنمضى فى أثر الأستاذ متولى مهما شاء له أدبه

***

وتمهيداً للبراهين التى سنسوقها للتدليل على ما وصفنا به نقد الأستاذ متولى ، نعرض أولاً للباب الموضوع حتى يحسن القارئ تفهمه

الرمزية المستحدثة أوسع نطاقاً من رمزية « ريبو »

مثار الخلاف أننى دفعت رأى الأستاذ متولى فى أن الرمزية التى نحن بصددها فى مسرحية « مفرق الطريق » أوسع نطاقاً من الرمزية التى حددها الأستاذ متولى ، نقلاً عن « ريبو » وحده فى كتابه (المخيلة الخلاقة باريس سنة ١٩٠٠)

الأستاذ متولى يقول بلسان (ريبو) : « إن الرمزية فى الفن تستخف بتمثيل العالم الخارجى تمثيلاً صادقاً فإذا الناس والأشياء تمر دون أن تنطبع بزمان أو مكان ، ولكنها تمضى وما تدرى أين حصلت ولامتى ، فلا هى تمت بصلة إلى أى بلد ، ولا هى تمثل عصراً بذاته » ، ولما كانت (مفرق الطريق) تعرض صوراً محلية تجرى حوادثها فى مصر ؛ وما دام بشر فارس قد أسمى بطل مسرحيته (هو) وأسمى بطلتها (سميره) ، إذن فالمسرحية لا تمت فى نظر الأستاذ متولى إلى الرمزية فى شىء ، وأنها محاولة مخفقة ، وأن مؤلفها لا يصح له أن يؤلف ، إلى غير ذلك من العبارات التى أصدرها بمراسيم تحمل اسمه الكبير !!!

سجل متولى هذا فى أول مقال له فردد ناعليه فى مقالنا السابق

١ - بأن (ريبو) واحد ممن كتبوا فى علم النفس ، وأن ما أدلى به هذا (الريبو) بصدد الرمزية فى الأدب ، قد فات أوانه بعد أن انبسطت للرمزية أطراف جديدة أخذ بها مؤلفون محدثون فى تأليف المسرحية والقصص والشعر ، وذكرنا أسماء لبعض هؤلاء المؤلفين ، وكلهم من المبرزين فى عالم الأدب الرفيع أمثال (بيراندللو) ، (جيرودو) ، (حانثيون) ؛ وهم مؤلفو مسرحيات رمزية صميمة لم تتقيد بآراء (ريبو) من حيث الاستخفاف بتمثيل العالم الخارجى وغير ذلك ؛ بل هى مسرحيات تنطبع بزمان ومكان ، وشخوصها يحملون أسماء كسائر الناس ، وتجرى حوادثها فى مدن معروفة . وذلك أن الرمزية المستحدثة أصبح مدارها

---

(١) الرسالة رقم ٣٨١ صفحة ١٥٩٩

الأول استكناه خفايا النفس وبواطن الأشياء ، أو بمعنى آخر « استنباط ما وراء الحس من المحسوسات الخ » ، كما أورده بشر فارس فى مقدمته لمسرحيته المذكورة

٢ — ولم نقف من هذه الأقوال عند مجرد الرد فحسب ، وإنما أضفنا إلى هذا النقص عند (ريبو) ذكر نقص آخر ، قرره العالم (أبيل راى Abel Rey) أستاذ تاريخ العلوم وفلسفتها بجامعة السربون . وذلك فى بحث له عن الاختراع بكتاب Traité de Psychologie لجورج دوماس (صفحة ١٤٤١ السطر ١٤ — ٢٠ الجزء الثانى طبعة باريس ١٩٢٤) هذا نصه :

La psychologie de Ribot à ce sujet nous semble encore trop dominée par la conception automatique et simpliste de l'atomisme mental, bien qu'il ait insisté — ce qui le rangait parmi les novateurs à l'époque — sur ce fait que les états associés ne sont pas simplement juxtaposés, mais qu'ils « se modifient par le fait même de leur connextion »

ومجمل ترجمته : « يلوح لنا أن علم النفس عند (ريبو) فى مسائل « المخيلة » والاختراع لا يزال تحت تأثير النظرية الآلية البسيطة الخاصة بتجزؤ الذهن إلى ذرات متجاورة »

٣ — وأيدنا هذا النقص بذكر تقدم علم النفس فى هذه المسألة بعينها على أيدى الفيلسوفين (وليم جيمس) و (برجسون) !

(وقبل أن أنتقل من هذه النقطة أرجو القارىء أن يقف قليلاً أمام هذا النص الفرنسى ومجمل ترجمته فله قصة طريفة سنوردها بعد قليل !)

٤ — ولم نكتف بكل هذا ، وهو من صميم العلم الذى لا ترق إليه الشبهات ، بل رجعنا إلى (ريبو) نفسه فى كتابه المذكور (المخيلة الخلاقة) ووقفنا عند النص الذى اقتطعه الأستاذ متولى ليدعم دعواه فى الرمزية ، فوجدنا ، ويا للعجب ، أن (ريبو) لم يتحرج التحرج الذى أراده متولى ، إذ أنه ، أى (ريبو) لم يحتم التحتيم كله أن تكون الرمزية ممعنة فى الإبهام إذ يقول « إنه كثيراً souvent ما تفلت الرمزية — فى عهده طبعاً — من التحديد الزمانى والمكانى ، وإذ يقول إن الأسماء ، أسماء الأشخاص فى المسرحية يعبر عنها أحياناً quelquefois بهو أو هى ، أو هم !

٥ — ثم تساءلنا مع الأستاذ متولى فقلنا إنه على فرض أن (ريبو) إله فى علم النفس ، وأن آراءه فى الرمزية لم يشحب لونها ، وعلى فرض أن العلماء مثل Abel Rey لم تطعن فى صحة موقف (ريبو) فى كلامه عن « الاختراع » و « المخيلة » كما قدمنا ، على فرض كل هذا ، فإنه من الغريب أن يأتى متولى عام ١٩٤٠ فيفرض على كل كاتب فى الرمزية أن يخضع ما يكتبه فيها لآراء (ريبو) ، فيقول للدكتور بشر فارس إما أن تنشىء على آراء (ريبو) وإما فما تنشئه لا يمت إلى الرمزية بصلة ما ! ثم سألناه ، بعد أن قررنا له أن العلم يتقدم والنظريات تتطور : وما نفع مسايرة الأدب — وفيه الرمزية — للعلم فى تقدمه وفى مستحدثاته ؟

أين موضوعية النقد يا أستاذ ؟

بهذا المنطق الواضح والبرهان المستقيم دفعنا أقوال الأستاذ متولى ، وهى أقوال اتخذها أساساً لانتقاص مسرحية (مفرق الطريق) ، فلم يدفع ما أدلينا به بحجة علمية واحدة مع أن ما نحن بصدده فى هذا يؤلف جوهر الموضوع !

فهل قرأ متولى هذا فى مقالنا ولم يفهمه ، أو هو قرأه ووعاه ثم أسقطه من حسابه فى رده علينا خشية أن يبدو أمام القراء فى غيبوبة وتباطؤ فى التحصيل لا يصح أن يكون عليهما من هو بإجازة الماجستير !!

لئن كان الأمر الأول فله العذر ولنا العزاء ، ولئن كان الأمر الثانى فيا خيبة الأمل فى نزاهة النقد وصدق النفس !!

الهارب المهزوم !!

بماذا طلع علينا متولى فى مقاله الأخير ؟؟

١ — سبحات فى خيال ، ونطحات فى جدار ، وسباب ساقه إلى وإلى بشر فارس يعزينى فيه ، كما يعزى — على ما أظن — بشر فارس ، أنه امتد فى غير حياء إلى المستشرق الكبير الأستاذ

(بركلن) ، الحجة فى تاريخ الأدب العربى ، هجم متولى ، الماجستير فى الفلسفة من الجامعة المصرية على هذا الإمام الكبير فنعته « بالغفلة » لأنه قرر فى تاريخه عن الأدب العربى الحديث عن مسرحية (مفرق الطريق) : « نحن هنا عند استهلال تطور يستطيع أن يحدث تجديداً فى الحياة الأدبية أو قل يجلب ثروة إليها »

ما رأى أساتذة كلية الآداب فى هذا ، وبماذا يعاقبون التلميذ محمد متولى ؟

٢ — عمد إلى المغالطات الصريحة والادعاءات الجريئة ، وإلى القارئ بعضاً منها :

(١) ادعى أننا نسبنا — غفلة وجهلاً وإمعاناً فى تزييف الحقائق العلمية — ما قاله العالم (أبيل راى Abel Rey) خاصاً بنقد (المخيلة) عند (ريبو) — ونص هذا القول سجلناه بالفرنسية مع ملخص ترجمته قبل هذا بسطور ورجونا القارئ أن يقف عنده — ادعى الأستاذ متولى أننا نسبنا هذا إلى (وليم جيمس) الفيلسوف المعاصر ، ولا نعرف لهذه الدعوى وجوداً إلا فى مخيلة متولى المبتدعة ، لأننا أوردنا نص ما قال Abel فى مقالنا السابق [١] مع إشارة صريحة إلى أنها واردة فى كتاب Traité de Psychologie لجورج دوماس ، ولم نغفل تاريخ طبع الكتاب وأرقام الجزء والصفحة والسطر ؛ وما على القارئ إلا أن يتفضل بالمراجعة ليحكم هل أنا المزيف أم الأستاذ متولى !

(ب) *يدرس لا يدرس*

قلنا فى مقالنا السابق إن كتاب جورج دوماس هذا يدرس اليوم فى جامعة السربون بباريس ، ولم نضع شكلاً على كلمة (يدرس) باعتبار أن المعنى صريح لا يحتاج إلى ضبط لدى كل من له معرفة بدراسة الجامعات ، وقد قمت بدراسة فى جامعة السربون لتاريخ الفن Histoire de l'art الأمر الذى يصح أن يعرفه الأستاذ متولى ، ولكن مخيلة الأستاذ شاءت أن ترى فى كلمة (يدرس) بمعنى يقلب ويقرأ ، معنى آخر تحدده كلمة (يُدرَّس) أى واجب على الطلبة الأخذ بكل ما جاء فيه .

(١) الرسالة رقم ٣٧٨ ص ١٥٢٠ العمود الأول ابتداء من السطر ١٤

كبا متولى هذه الكبوة ليقول مزدهياً : إن زكى طليمات لا عهد له بالدراسة الجامعية وعليه فلا يجوز له أن يناقش خريجاً من جامعة

(ح) *ولو ! !*

أراد متولى أن يسجل علينا رذيلة التطاول والتهجم على رجال العلم ، وأولهم فى نظره (ريبو) ، لأنه عكازه ومنظاره فيما يكتب ، فقال : إن (ريبو) هذا الذى لا يرضينا هو الذى عرف (جورج دوماس) فضله فاختاره ليكتب له مقدمة كتابه السابق الذكر . هذا فى حين أننا لم ننتقص قدر (ريبو) هذا ولم نتطاول عليه ، وكل ما قلناه عنه أن آراءه فى الرمزية قد فات أوانها ، ولم نكن فى هذا أقل براً من جورج دوماس نفسه الذى اصطفى (ريبو) لكتابة مقدمة كتابه ، ثم سجل عليه فى نفس الكتاب ما أخذه عليه العالم A. Rey السابق الذكر !

(ء) *الفيلسوف المعاصر !*

قرر الأستاذ متولى إرسالى إلى محكمة تحفظ كرامة العلم وتحاسب المستهترين بقدسيته لتعاقبهم ، قرر هذا تتقدمه عريضة اتهام مُفادُها أنى وصفت (وليم جيمس) بالفيلسوف المعاصر ، هذا فى حين (وليم) هذا توفى فى عام ١٩١٠ ، فهو بذلك غير معاصر !

وهنا أقول إنه يؤسفنى أن أصرح بأنه ما كان يدور بخلدى أن متولى يجهل كل المعنى التى تحت كلمة معاصر (Contemporain) وموعدنا العدد القادم ليحكم القراء فيمن يقدم إلى هذه المحكمة وإلى محاكم أخرى من نوعها ، أنا أم الأستاذ محمد متولى ؟

(الحديث بقية) زكى طليمات

قصة القمر العاشق

للأستاذ علي محمود طه

للأديب محمد سيد الكيلاني

هي قصة بارعة في قصيدة رائعة عدتها اثنان وثلاثون بيتاً ، ومع هذا ، فإنها تقع في أربعة فصول تمثل لنا العشق في صورة مستحدثة ، وتعطينا لوناً لا عهد لنا به من ألوان الموسيقى . وهذه القصة واضحة المعاني ، بينة المرامي ، بالرغم مما فيها من رموز وإشارات . وهي مفعمة بالشذوذ ، ولكنها مع هذا كله مما يستقيم به منطق الشعراء الواقعيين

يتحدث الشاعر في قصيدته عن « قصة قمر عاشق » يهوى الصبايا الحور ، ويقتحم عليهن الخدور . ولقد تواضع الشعراء من قبل على أن يجعلوا من القمر معشوقاً جميلاً رقيقاً فاتن السمات ، بديع القسمات ، فشبهوا به وجه الحبيب ، وفي ذلك يقول قائلهم وهو يخاطب الليل :

لو كان عندي قمر ما بت أرعى قمرا

ولكن شاعرنا المهندس خرج على هذا الإجماع ، فجعل من هذا المعشوق الوادع الرقيق عاشقاً سابياً وعربيداً فاتكا ، فأسبغ عليه من صفات الرخاوة حيناً ، والضراوة حيناً آخر ، ما جعل قصيدته قمينة بالنظر ، حرية بالاستقراء ، جديرة بتأمل كل حسناء كأنما يوجه إليها الشاعر قصيدته ، كيلا يستخفها هذا الضوء الرطب المنحدر من قمر الليالي الصائفة ، فيلهيها عن نافذتها المفتوحة . قال مخاطباً هذه الشادة :

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضنى
ورف عليك مثل الحلم أو إشراقة المعنى

فهنا شرفة يطوف حولها ضوء القمر متعباً من طول ما قطع من مسافة إليها . وهذا الضوء لطيف عذب كالحلم ، مشرق كالمعنى المتوقد في خاطر الشاعر ، يرف على زنبقة نائمة في مهدها ، وقد انحسرت غلائلها الرقيقة عن بعض جسمها . قال وأنت على فراش الطهر كالزنبقة الوسنى :

فضمي جسمك العاري وصوني ذلك الحسنا

وفي هذا النداء الأخير تتجلى عبادة الشاعر للجمال وتقديسه له ، فهو يربأ بهذا الجسم الفاتن أن يكون نهب هذا الضوء المفتون ، أو بمعنى آخر نهب الأعين الشرهة الجارحة ، فالشاعر ينصح صاحبته الحسناء أن تضم جسمها العاري وأن تستره حتى يبقى حسنها مصوناً . فنظرة شاعرنا المهندس إلى المرأة وجمالها في هذين البيتين نظرة فنية روحية في حين أن شاعراً كاسماعيل صبري كان ينظر إلى الجمال نظرته إلى المتعة المبذولة . قال :

إن هذا الحسن كالماء الذي فيه للأنفس ري وشفاء
لا تذودي بعضنا عن ورده دون بعض واعدلي بين الظماء

فنظرة علي محمود طه إلى الجمال أسمى وأنبل . وهي على أنها نظرة شاعرية متخيلة إلا أنها واقعية مستمدة من صميم الحياة وطبائع الأشياء . أما نظرة إسماعيل صبري فهي ساذجة أو قل إنها تنافى منطق الحياة وتجافى طبائع الأشياء . إن هذه المرأة التي يطلب منها اسماعيل صبري أن تجعل من حسنها مورداً لكل ظمآن ومتعة لكل إنسان وأن تعدل بين الظماء فلا تزيد في كأس هذا قطرة عما في كأس ذاك لم تخلق بعد . وهي كما يصورها اسماعيل صبري ليست من بني البشر ، إنما هي آلة مصنوعة توزع الطعام والشراب بالدرهم والمثقال . هذا هو التمهيد الذي قدمه الشاعر لقصته

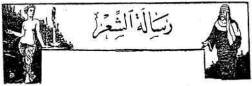
أما الفصل الأول فهو هذا الضوء الذي نظر من خلال السحاب فرأى هذه الفتاة الذائعة وقد تعرى بعض جسمها ففتنه جمالها فهبط من عليائه إلى أرض حديقتها ، ثم نظر فإذا هي نائمة في فراشها تحت نافذتها . وهنا يمثل الضوء دوراً تاريخياً من أدوار العشق والغرام التي قام بها روميو ، فيسترق الضوء الخطا حتى يصل إلى هذه النافذة فيراها عالية فيتسلق إليها الأغصان لا يبالي بأشواكها حتى يصل إلى فاتنته . قال الشاعر :

ومس الأرض في رفق يشق رياضها الغنا
عجبت له وما أعجب كيف استلم الركنا ؟
وكيف تسور الشوك وكيف تسور الغصنا ؟

والفصل الثاني حين يقف الضوء في مخدع الحسناء فيرى في خديها خمر صبابة . ولقد ألفنا الشعراء يصفون خدود الملاح بالتفاح ولكن علي محمود طه عمد إلى وصف ما ينبعث من الخدود من سحر وجمال بخمر صبابة لا ينضب معينها . قال :

على خديك خمر صبابة أفرغها دنا

(البقية على صفحة ١٦٦٢)



من أمسيات الخريف

للأستاذ محمود الخفيف

حَتَّامَ تُوحِى شَمْسُهُ الْغَارِبَهْ   لِلنَّفْسِ هَذا الشَّجَنْ ؟
حَتَّامَ تَحْكِى لِيَ الْمُنَى الذاهِبَهْ   وَقَدْ تَرَاخَى الزَّمَن ؟
شُحُوبُهُ فى وَجْنَتِى الشَّاحِبَهْ   يَكْشِفُ مِنْ أَسْقَامِهِ ما كَمَنْ
مَنْ مُبْلِغٌ آمِرَتِى الْغَائِبَهْ   أَنِّى غَرِيبٌ هَاهُنا فى الوَطَنْ ؟

* * *

أَمْسُ انْقَضَتْ يا قَلْبُ أَحْلامُهُ   فَفِيمَ هَذا الْعَذابْ ؟
لا تَنْفَعُ الْمَحْزُونَ أَوْهَامُهُ   إِلاَّ كَلَمْحِ السَّرَابْ
هَذا الأَسَى النَّوَّاحُ أَنْغَامُهُ   كالرِّيحِ أَنَّتْ فى شِعَابِ الهِضَابْ
وَدَمْعُكَ السَّحَّاحُ تَسْجَامُهُ   كما هَمَى فى الْقَفْرِ دَمْعُ السَّحَابْ

* * *

وَا حَزَنَا هَذِي رِيَاحُ الْخَرِيفْ   نَوَّاحَــــةً شاكِيَهْ
أَرْغُولُها غَنَّى بِهَـذا الخَفِيفْ   أَلْحَانُهَا النَّاعِيَــــهْ
حَشْرَجَةٌ فِيها نَشِيجٌ مُخِيفْ   لم تَخْلُ مِنْ أَنَّاتِها نَاحِيَه
كَمْ أَسْلَمَتْ لِلسُّقْمِ قَلْبِي اللَّهِيفْ   وَأَيْقَظَتْ آلامِىَ الْغَافِيَهْ !

* * *

تَهَيَّأَتْ لِلْمَوْتِ شَمْسُ الأَصِيلْ   رَاجِفَــــةً كاسِفَهْ
مَا زادَ فى الْعُمْرِ النَّهَارُ الطَّوِيلْ   عَنْ لَمْحَةٍ خاطِفَهْ !
فى مِثْلِ هَذا الوَقْتِ كانَ الرَّحِيلْ   والشَّمْسُ فى كَفِّ الرَّدَى رَاعِفَه
لَمْ أَنْسَ وَالْقَوْلُ دُمُوعٌ تَسِيلْ   أَفْئِدَةً يَوْمَئِــــذٍ وَاجِفَه

* * *

تَجَهَّشُ يا أُمَّاهُ هَـذا السَّفَرْ   تَحْزَنُ رُوحِى لَهُ
أُمَّاهُ مَا أَحْسَسْتُ هَذا الأَثَرْ   فى سَفَرٍ قَبْلَــهُ !
ولا تُحِيرُ الأُمُّ غَـيْرَ النَّظَرْ   فى شَجَنٍ ما عَرَفَتْ مِثْلَهُ
وَذَاكَ رَبُّ الدَّارِ مَهْمَا صَبَرْ   يَكَادُ لا يُبْصِرُ مَا حَوْلَهُ

* * *

وَالْتَفَتَتْ هَامِسَةً بِالسَّــلامْ   بَاسِمَــــةً دَامِعَــــهْ
وَحِرْتُ وَاسْتَعْصَى عَلَىَّ الْكَلامْ   وَانْطَلَقَتْ جَازِعَـــهْ
تَنَاوَحَتْ حَوْلِي بِهَـذَا الْمَقَامْ   رِيحٌ عَلَى أَوْتَارِهَا القَارِعَهْ
كَمْ نَثَرَتْ حَتَّى احْتَوَانى الظَّلامْ   سِلْسِلَةً مِنْ أَدْمُعِى الهامِعَهْ

* * *

هَاهِىَ ذِى فِي الْيَأْسِ تَطْوِى السِّنُون   وَفِي الْمُنَى الْبَاطِـلَهْ
يُوحِى لِنَفْسِى فِى الْخَرِيفِ الْمَنُونْ   أَطْيَافُهَا الْمَـــائِلَهْ
الصَّمْتُ فِى وِدْيَانِهِ وَالسُّكُونْ   وَالْمَوْتُ فِى أَوْرَاقِهِ الذَّابِلَهْ
وَالرِّيحُ غَنَّتْ نَاحِلاتِ الْغُصُونْ   أَلْحَانَ تِلْكَ الْخُضْرَةِ الزَّائِلَهْ

* * *

فِى الأُفُقِ الْغَرْبِىِّ أَلْقَى الْمَسَاءْ   ظِـلالَهُ الْحَـــائِمَهْ
وَانْطَفَأَتْ فِى لازَوَرْدِ السَّمَاءْ   جَمْـرَتُهَا الْقَاتِمَـــهْ
وَأَقْبَـلَ اللَّيْلُ وَمَاتَ الضِّيَاءْ   وَأَنْذَرَتْنِى الظُّلْمَـةُ الْعَارِمَهْ
مَعْنًى جَدِيدٌ مِنْ مَعَانِى الْفَنَاءْ   يَلْمَحُ لِى فِى هَذِهِ الْخَاتِمَهْ

* * *

فى كُلِّ شَىْءٍ شَاعَ حَوْلِي الْفُتُورْ   وَدَبَّ طَيْفُ الْكَرَى
فى الدَّوْحِ وَالزَّرْعِ وَهَذِى السُّطُورْ   مِنْ دُورِ أَهْلِ القُرَى
تَجَسَّمُ الْوَحْشَةَ تِلْكَ الْقُبُورْ   مَنْظُومَةً فَوْقَ الثَّرَى أَسْطُرَا
صَائِحَةً مَهْمَا يَطُلْ مِنْ غُرُورْ   فِي الْعَيْشِ هذا مَصِيرُ الْوَرَى !

* * *

وَاللاَّغِبُ الْفَلاَّحُ فِى لَحْنِـهِ   أَشْجَي مَعَانِى الأَسَى
لَحْنٌ قَبَسْتُ الشَّجْوَ مِنْ لَوْنِهِ   وَصُغْتُ هَـذَا الْبُكَا
الذُّلُّ وَالْحِرْمَانُ فِى فَنِّهِ   وَالْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَطُولُ الْعَنَا
مِنْ شِقْوَةِ الدُّنيا إِلى كِنِّهِ   يَأْوِى وَمَا فِى الْكِنِّ غَيْرُ الضَّنَى

الخفيف

بين الشرق والغرب

آفةُ الشرقِ اهتضامُ الضُّعفاء وهوى الظلم وإزهاقُ العباد
وبلاءُ الشرقِ خُلفُ الزُّعماء وانقسامُ الرأي في ساح الجهاد

وبنو الشرقِ أناسٌ نبذوا خشيةَ الله وحبَّ الوطن
تبعوا الغربَ عُماةً وحذوا حذوَه في القبحِ لا في الحَسَن
تركوا نهجَ التقى واتخذوا سُبُلَ الكفرِ وطرقَ الفتن
وتباهوا بالمخازي ، بالرياء بالمعاصي ، بأفانين الفساد
فاتهم أنَّ العُلا بنتُ الإباء وبلوغُ المجدِ رهنُ الاتحاد

غُلِبَ الشرقُ على نيلِ الأرب وأبى التفريقُ أن ينصُرَه
ولو انَّ الشرقَ ضحى ودأب كان لطفُ الله قد أظهرَه
إنما أهلوه زادوه نصب قُتِلَ الإنسانُ ما أكفرَه
لا يميلون إلى غيرِ الهُراء أو يهيمون بغير الانتقاد
شأنُهم في العيشِ شأنُ الجُبناء خاملو الذكر قليلو الاعتداد

أيهذا الشرقُ يكفيك عمى فاتقِ الغربَ وكن في حَذَر
لا يغُرَّنَّكَ إمّا ابتسما بسمةَ البرقِ قُبيلَ المطر
فهو لم يعشقكَ إلا مثلما يعشقُ الجزارُ سِربَ البقر
سائلِ السكينَ عن هذا الولاء وسلِ المسلخَ عن ذاك الوداد
واحذرِ السمَّ بمعسولِ السِّباء واجتنب في وِردِه شوكَ القتاد

لا تظنَّ الغربَ صبًّا مفتتن بكَ ، فالغربُ ولوعٌ بقناكا
أو تخلهُ الطاعمَ الكاسي التَّرِن فهو من جلدك يا شرقُ كساكا
وهو من لحمك غذاك ومن دمك المسفوك عدواناً سقاكا
مستبدًّا جائرًا باسم الإخاء شائقَ الأقوالِ شريرَ المراد
قدَّسَ الغدرَ ونادى بالوفاء ويلُ هذا الشرقِ من ذاك المنادي

(دار الأهرام) **فؤاد بليبل**

قصـة القمر العاشق

(بقية المنشور في صفحة ١٦٦٠)

رحيق من جنى الفتنـة لا ينضب أو يفنى

ثم استرسل الشاعر في الخيال فتصور ضوء القمر غريماً له ومنافساً سبقه إلى هذه الغانية ، ثم ذكر غيرته عليها كلما قبّل ثغرها أو لف نهدها أو ضم جسدها ، قال :

أغار ، أغار إن قبـل هـذا الثغر أو ثنى
ولف النهـد في لين وضم الجسد اللـدنا

ثم أخذ ينصح صاحبته بألا تستهين بهذا الضوء وأن تأخذ حذرها منه ، وأن تخشى بأسه . وقد دعم أقواله بحقيقة من الحقائق العلمية ، فذكر أن هذا الضوء يؤثر في الموجة الكبرى ويرغمها على الخروج من أعماق البحار . وفي هذا إشارة علمية لطيفة إلى المد فإن الأمواج ترتفع تحت جاذبية القمر . وهنا ينتهي الفصل الثاني

أما الفصل الثالث فيبدأ حينما تصور الشاعر هذا الضوء وقد عجز عن أن ينال من هذه الحسناء بعد أن أسبغ عليها كل فنه وجماله .. قال :

أراد فلم ينل ثغراً ورام فلم يصب حضنا
حوتك ذراعه رسماً وأنت حويتـه فنا

في حين أن الفصل الرابع يتمثل في ثورة هذا الضوء الذي أظهر الرعونة والطيش ومضى يطوي السهول والحزون :

يثير الليـل أحقاداً وصـدر سحابه ضغنا
وعاد الطفل جباراً يهز صراعه الكونا

فهذا الذي كان يجثو أمامها كالطفل ملتمساً العطف عاد جباراً يهز الكون هزاً بصراعه الشديد المتواصل ، يثير الرياح ويرسل العواصف، فيهرع الناس إلى منازلهم كما يهرعون عند سماع صفارة الإنذار من الغارات الجوية ، ويسرع كل منهم إلى لقاء زوجته . وحينئذ يذكر الناس أن القمر لا بد أن يكون مفتوناً بغادة ملكت عليه كل جوارحه . ثم نصحها بأن تتقي شر ذلك الجبار وتقفل النافذة حتى تصون حسنها من ثورة هذا العاشق ، وحتى لا يظن الناس بخدعها الظنون . وختم هذه الدرة الثمينة بقوله :

فكم أقلقت من ليل ! وكم من قمر جنا !

محمد سيد الكيلاني



تأملات:

الفن والاطمئنان

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

منذ سنة شاهدت السيدة ميمي شكيب في رواية الدلوعة، فأعجبت بها إعجاباً خفيفاً، لأني لم أجدها أكثر من ممثلة درست دورها على يد أستاذها الريحاني، واتبعت إرشاداته وتعليماته بأمانة وتدقيق.

ومنذ أسبوع شاهدت السيدة ميمي شكيب في رواية الدلوعة أيضاً، فإذا بي أراها شيئاً جديداً، وإذا بشبح الريحاني الذي كان يصاحبها في السنة الماضية ويقودها على خشبة المسرح خطوة خطوة، ويلون صوتها في إلقائها نبرة نبرة، قد اختفى تماماً... وإذا بالسيدة ميمي شكيب ممثلة أستاذة تعربد على المسرح عربدة حية توحي بها إليها خواطرها هي، وتتبع فيها اختيارها هي، ولا تتقيد فيها بإرشادات موجهة إليها، ولا تعليمات مدروسة...

فما الذي حدث للسيدة ميمي شكيب، حتى استطاعت أن تقفز هذه القفزة، وأن تخرج في عام واحد من صفوف التلميذات النجيبات إلى صفوف الأستاذات المجيدات؟

لا بد أن يكون شيء ما قد حدث لها، ولا يمكن أن يكون هذا الشيء اجتهاداً في دراسة المسرح، أو اهتماماً بالفن زاد عندها عن ذي قبل. فليس شيء من هذا بقادر على أن يخلق الإنسان خلقاً جديداً، وإن كان قادراً على أن يصقله شيئاً ما، وأن يهذبه شيئاً ما، وأن يرفعه شيئاً ما...

فما الذي حدث للسيدة ميمي شكيب إذن؟

الذي حدث هو أنها تزوجت!

ولكن ما للزواج والفن؟ وكيف يمكن أن يكون الزواج سبباً في النهوض بفنانة نهضة تلفت الناقد هذه اللفتة المحيرة؟ وإذا كان الزواج هو السبب في هذه القفزة التي قفزتها السيدة ميمي شكيب، فإن أستاذها الريحاني نفسه ليس متزوجاً ومع هذا، فهو أستاذها، وهو الفنان الذي لا يشق له غبار...

الواقع أن الزواج يبعث في النفس اطمئناناً وارتياحاً، وهو يبعثهما في نفس المرأة أكثر مما يبعثهما في نفس الرجل، وكل فنان محتاج إلى الاطمئنان والارتياح كي يتفرغ لفنه ويجيد فيه، وإذا عدم الفنان الاطمئنان والراحة فهو مهدد دائماً بأن ينعكس على فنه ذلك القلق الذي يتردد في نفسه، وهو مهدد كذلك بأن يصطبغ فنه بلون معتم مظلم أسود هو لون اليأس والشقاء اللذين يعانيهما من قلقه. وكثيراً ما كان هذا القلق سبباً في اندحار الفنانين وذولهم، وكثيراً ما كان سبباً في الانزلاق بهم إلى مهاوي الخبل يطلبون الاطمئنان عبثاً في الخمر، والمخدرات، والمواخير.

والخمر والمخدرات والمواخير، لا شك في أنها تبعث اطمئناناً عارضاً وارتياحاً وقتياً في نفس الفنان، ولكن آثارها عند ما تزول أن يصبح الفنان فإذا به يرى نفسه فارغة كما كانت قبل السكرة، وإذا به يرى نفسه وحيداً هائماً على وجهه لا يدري له مستقراً، ولا يعلم له هدفاً، فيعود إلى ما كان فيه، ويطلب السم الذي يطمئنه ويقتله في الوقت نفسه، ولا يطول به الزمن حتى تتلف صحته، وتتحطم أعصابه، ويخمد عقله، ويتبلد إحساسه، ويخبو من نفسه ذلك النور الذي يهديه ويلهمه، فيصبح في آخر الأمر إنساناً مسكيناً لا حياة له إلا الأوهام، فهو يحسب نفسه قادراً على الإنتاج لأنه يلمح أطيافاً من الفكر تجول في رأسه، ولكنه إذا أراد أن يحصرها، وأن يجندها، وأن ينظمها، وأن يطلقها إلى الدنيا فناً رآها تشق عصا الطاعة عليه، وتستعصي، وتفلت منه وتذوب في رأسه كأنها لم تكن... وإذا ابتلى فنان بحال كهذه

فمآله الانهيار من غير شك فإما أن يموت كما مات سيد درويش وإما أن ينتحر كما انتحر إيفان مسجوكين ، وإما أن ينطلق في الدنيا مشرداً مسكيناً إن عطف عليه الناس اليوم فسينبذونه غداً

والفنانون في الدنيا بأسرها ليسوا غائبين عن هذه الحقيقة ، كما أنه ليس في الدنيا إنسان غائباً عنها ، فلماذا يعرض كثيرون من الفنانين والفنانات عن الزواج ، ولماذا يجرؤ بعضهم على أن يدعو غيره إلى الإعراض عنه حتى أصبح هناك مذهب فاسد عشش في رؤوسهم أو في رؤوس بعضهم ، واجتذب له أنصاراً يقولون بأن الزواج يعرقل الفن ...

هناك سبب خفي لهذا ، وهو أن في الفنانين كثيراً من طبائع النساء ، فهم أشد إحساساً من غيرهم من الرجال ، ومن شدة إحساسهم هم أشد غيرة من غيرهم ، ومن شدة إحساسهم هم أقل حكمة من غيرهم . ولهذا كان مما يشبه الأمر العسير أن يجمع الرجل بين الفن والمرأة ، لأنه من العسير أو من المستحيل أن تجمع بين المرأة والمرأة

وقد نتج من هذا أن كثيرين من الفنانين شذوا عن الحياة الطبيعية ، وأصبحوا يطلبون الاطمئنان والارتياح في المغالطات والأوهام . وقد كانت هذه المغالطات وهذه الأوهام مواد لذيذة لكثير من الفنون استمتع بها الناس ، ولكنهم كانوا وهم يستمتعون بها يشفقون على أصحابها ويقولون دائماً : يا لهؤلاء من أشقياء مساكين محرومين ...

والعجب أن هذا لم يكن في يوم من الأيام محرضاً على نبذ هذه المغالطات وهذه الأوهام ، وإنما كان دائماً محرضاً على الإقبال عليها ، فكلما نشأ فنان صغير وأحس في نفسه شيئاً من الضعف حيال الحياة الطبيعية ، وأدرك أن ضعفه هذا راجع إلى قوة إحساسه وحدة نفسه ، لم يسرع إلى تنمية عقله التنمية التي تحفظ توازنه ، ولم يسرع إلى توطيد أخلاقه التوطيد الذي يحميه من الوقوع في اضطراب الشذوذ ، وإنما طلبته صور هذا الشذوذ ، وحسبها نوعاً من الحياة يمكن أن يعيش إلى جانب الحياة الطبيعية التي لا سبيل إلى الخلود إلا بها ...

وهكذا ضعف كثيرون من الفنانين ، وهكذا انهاروا ، وهكذا أعقبوا فنوناً لا أنكر أنها لذيذة وإن كنت أسخط عليها وأمقتها مقتاً جداً على نفسي ووجدته حقاً

وإلى هؤلاء الفنانين أريد أن أوجه الحديث اليوم

فليتصوروا سلماً يصل ما بين الأرض والسماء ، وأن الناس جميعاً مطالبون بأن يصعدوا هذا السلم ، وليقولوا لي أي الناس أضمن وصولاً إلى قمة هذا السلم !

الإنسان الذي يقبض عليه برجليه ويديه وأسنانه ويصعد درجة درجة فما تفلت منه درجة ، أم الإنسان الذي يقفز عليه برجليه فقط بينما يداه يلوح بهما في الهواء ، وبينما يزعق بحنجرته مغنياً أو نادباً أو مهللاً ؟ ...

لاشك في أن الأول أضمن وصولاً من الثاني ، كما أنه لاشك في أن الثاني كلما قطع مع الأول مرحلة كان ذلك دليلاً على أنه أبرع منه وأقدر ...

فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يكون هذا الثاني البارع القادر إذا استغل قواه جميعاً ، واستخدم جوارحه جميعاً كما يفعل الأول ؟ ...

لابد أنه يسبقه بمراحل ، ولا بد أنه يشعر بعد ذلك بدافع من نفسه يدفعه إلى مساعدة غيره والأخذ بأيديهم ...

وهذا هو ما يفعله الأنبياء وأصحاب الرسالات ، فهم ليسوا إلا بشراً وهم أشبه الناس بالفنانين ، ولكنهم يزيدون على الفنانين قوة العقل وقوة الخلق إلى جانب قوة الإحساس ، ولذلك فإنهم ساروا دائماً نحو المثل الأعلى في خطى ثابتة ومن غير قلق ، ومن غير يأس ، ومن غير شذوذ ولا خروج على قواعد الطبيعة وسننها

ولعل أقوى حجة من حجج أولئك الألمانيين الذين يمقتون الزواج هو قولهم إن مسئوليات الزواج تثقل على كاهل الفنان وتحرمه من الفن وتحرم الفن منه . وهذا قول سخيف ، لأن الحياة من غير زواج ليست إلا «رهبنة» أو قرصنة ، و «الرهبنة» شيء ليس من اليسير على الإنسان أن يحققه ، ولو حققه الناس جميعاً لتعطلت الحياة التي أرادها الله ، والقرصنة شيء قد يكون من اليسير على كل إنسان أن يحققه ، ولكنه لو حققه كل إنسان

لفسدت الحياة واضمحلت وتخاذلت ودبت إليها الأمراض البدنية والنفسية ، ثم يعاجلها بعد ذلك الموت السريع . ثم إن حياة الأسرة نفسها فيها تلخيص لقصة الخلق لا يمكن أن يتذوقه إلا من يباشرها ؛ والعجيب أنه لا يمكن أن يتذوقها إنسان مثلما يستطيع الفنان الحساس العاقل القويم الخلق أن يتذوقها ، فهي تجعل منه رباً صغيراً لجماعة من الناس الأحياء ، وتمكنه من أن يرزق ، ومن أن يعلم ، ومن أن يصلح ، ومن أن يوجه ، ومن أن يملي ، ومن أن يجازي ، ومن أن يحاسب ، ومن أن يرحم ، ومن أن يشفق ، ومن أن يغفر ، ومن أن يضمن الذكر لنفسه بعد موته : فيكون هو الوصلة بين الماضي والمستقبل ، ومن أن يطلب حقه بلا تفريط ولا تهاون ، ومن أن يعز ويعتز ، ومن أن ينصر وينتصر ، ومن أن يقول لشيء كن فيكون ...

وهذا هو ما يريده الله لنا ، وما يريده منا ، ففي هذه الحياة من المعاني ما لو انتبه إليه الفنان واستغله لأخرج منها صوراً وسلاسل لا نهاية لها من الفن الزاخر بالعواطف والفكر والمثل الخلقية العليا التي تفيض بها أنفس الآباء العاديين ويعجزون عن تسجيلها .

وقد يعترض عليّ معترض من غير المجربين ويقول لي : ما لنا نرى كثيرين من أفذاذ الفنانين الذين مجدتهم أنت نفسك واقعين في ذلك الشذوذ الذي تعيبه وهاربين من الزواج مع أنهم لا تعوزهم الحكمة ولا العقل ومع أن أفعالهم تشهد بأن لهم من الأخلاق الفاضلة ما ليس لغيرهم ، فهم محسنون غير أنانيين ، وهم يربون أولاد غيرهم بأموالهم ويحسنون ويصنعون ...

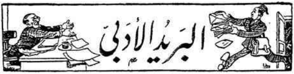
ولهؤلاء أقول ... إن غلطة واحدة يرتكبها الإنسان في صغره مختاراً أو مجبراً قد تظل آثارها عالقة بأعصابه وبحياته إلى أن يموت . فإذا لم يلتفت الإنسان إليها التفاتاً خاصاً ، ويقاومها مقاومة خاصة ، فإنه يظل منساقاً وراء نتائجها ، ويظل يعاني الأمرين من آثارها ، وقد يخيل إليه في ظرف من الظروف أنه مستطيع الانخراط في طريق الحياة الطبيعية العادية إذا ما اعتزمها واصطنعها ، فيعتزمها ويصطنعها ولكنه لا يلبث أن يرى نفسه بعد حين عاجزاً عن المضي فيها ... كما حدث ذلك للفنان الكبير شارلي شابلن فإنه تزوج أكثر من مرة واحدة ، وأنجب من زوجه الأولى ولداً هو الآن شاب كبير . ومع هذا فإن شارلي لا يزال يتخبط في حياته وإن كان له عذره في تخبطه ، وإن كان فنه السامي مما يشفع له ، فنحن إذا طالبناه بإصلاح نفسه الآن بعد فوات الأوان فإن ذلك قد يستنفد منه بقية حياته ، وإن أنانيتنا نحن لتمنعنا من أن نسدي إليه هذه النصيحة ، فخيرنا في أن نستمتع بفنه ، ولو كان في ذلك هلاك روحه ...

إذن فمن الذي يستطيع أن يضع حداً لهذا الاضطراب ...

ثم الآباء ، والمربون ، والأمهات قبل هؤلاء وهؤلاء . . .

فعلى أولئك تقع التبعة الأولى في المحافظة على تعادل أبنائهم النفساني . وإني لا أشك في أن حضارة القرن العشرين قد بدأت تحس بأنها في حاجة إلى تبديل وتغيير ، وعلى الخصوص بعد أن انهارت فرنسا هذا الانهيار السريع الذي لم يكن المعجبون بها يتوقعونه لها ؛ وإني لا أشك كذلك في أن أصحاب الرأي والفكر يتربصون اليوم للحرب القائمة يريدون أن تضع أوزارها ليستطيعوا بعد ذلك أن يقولوا كلاماً صريحاً مفهوماً تلخيصه : أن عودوا أيها الناس إلى حياة الطبيعة فلا مفر منها ، ولا مهرب من الشر إلا بها ، وهي سنة الله

عزيز أحمد فهمي



١ — إلى المفكر الكبير الأستاذ خليل مطران

إليك — وأنت مدير الفرقة القومية — أوجه القول :

هل ترى أن الأدب اليونانى القديم يقدم غذاء نافعاً للعقل العربى الحديث ؟

لقد شهدتُ تمثيل رواية أوديب على مسرح الأوبرا الملكية فلم أرها إلا حماقة من حماقات الإغريق يوم كانوا يؤمنون بأن الآلهة أقوامٌ مجانين يتصرفون فى شؤون الخلق بلا بصيرة ولا خُلق ولا رفق ولا ميزان

ومع أن المآسى تثير دموعى فقد أحسست قلبى وهو يتحول إلى جلمود عند شهود هذه المأساة ، لأنها لم تكن إلا صورة من سخف الوثنية اليونانية ، وهى وثنية عادت على أصحابها بأجزل النفع ، لأنها مثلت أهواءهم وأوهامهم أصدق تمثيل ، ولكنها لن تنفعنا بشىء ، لأنها بَلبلة خُلقية وذوقية تُلحق الضرر البليغ بأذواق الجيل الجديد . وهل هناك موجب لرياضة الجمهور على التحزن والتحسر والتفجع لمصاير مجهولة خلقها الروح الإغريقى ليوهم بنى آدم أنهُ لا قدرة لهم على الخير أو الشر وأنهم لم يخلقوا إلا ليكونوا ألعوبة فى أيدى المقادير الهوجاء ؟

أنا أفهم أن تترجم أمثال هذه الروايات إلى اللغة العربية لتعين على تصوُّر بعض ما مرّ بالإنسانية من أوهام وأضاليل ، ولكنى لا أفهم كيف يُتخذ من أمثال هذه الروايات نماذج لروعة الفن ، ونفاذ الفكر ، ورجاحة العقل ؛ وهى قد نشأت فى أحضان الطفولة البشرية يوم كان الملوك والوزراء والحكام عبيداً مسخَّرين لسدَنة الهياكل الوثنية ، ويوم كانت مصاير الأحكام إلى من يحسنون الرجم بالغيب من الكهنة والعرافين

قد يقال إن فى مصر رجلاً اسمه الدكتور طه حسين ، وأن هذا الرجل يُقسم بأبولون أن الفن لفى خُسر إن لم يُلقح بأدب الإغريق القدماء

ولكن هذا الرجل لا يزعم ولا يستطيع أن يزعم أن الرأى ما يرى ، وأن القول ما يقول ، ففى مصر رجال يملكون ردّه إلى الصواب بلا مشقة ولا عناء ، وسيرى ما يسره إن همّ بنقض هذا الاعتراض ، ولكنه لن يفعل لأن كهنة دلف أنبأوه أن خير ما يجاب به على اعتراضات زكى مبارك هو الصمت البليغ !

للأستاذ خليل مطران أن يتفضل بالإجابة عن هذا السؤال :

هل استطاعت مأساة أوديب أن تصور مشكلة واحدة من مشكلات العدل والعقل والذوق ؟

وكيف ولم تكن تلك المأساة إلا صورة بهلوانية من صور الوثنية اليونانية ؟

كانت هذه المأساة مقبولة يوم كان الناس يتذوقون عبث الأساطير ، وهى قد تقبل فى مدينة مثل روما أو باريس ، حيث يطيب للناس أن يتلهوا بخرافات الوثنية بعد أن شبعوا من أطايب الأدب الحديث ، وهو عندهم يقوم على نقد خلائق المجتمع بنزاهة وصدق

فهل ترى الحال فى القاهرة كالحال فى روما وباريس ؟ وهل تظن أن الفرقة القومية فرغت من تشجيع الروايات الاجتماعية والتاريخية التى تصور حاضرنا وماضينا ، ولم يبق إلا أن تتحفنا بخرافات اليونان ؟

الآن تذكرت ما كنت نسيت توجيهه إليك ، فقد كنت أحب أن أسأل عما صنعتَ وصنع زملاؤك فى الانتفاع بما فى مصر من مواهب وآراء ؛ وقد صح عندى أنكم ورجال الإذاعة سواء ، فأنتم جميعاً لا تعرفون غير من يتعرف إليكم ، ولا تذكرون إلا من يذكّركم بنفسه ، وليست عندكم طريق مرسومة لاستثمار المواهب المكنونة فى هذه البلاد . أليس من العجيب أن يكون فى زادكم الفنى روايات بالية لا ينتظَر من بثها غير إعلان الفاقة والإملاق ؟

والآن عرفت ما لم أكن أعرف ، فقد تعب المفكرون فى البحث عن السبب الذى استوجب أن يهتم العرب بنقل ما عند اليونان من فلسفة وأن يزهدوا فى نقل ما عندهم من آداب

اهتم العرب بنقل فلسفة اليونان لأنها وليدة العقل ، وزهدوا فى آداب اليونان لأنها بهلوانية ، تقوم على قواعد واهية من الزخرف والبريق

فهل يظن الأستاذ خليل مطران أنه أعقل من أئمة العقل لعهد ازدهار الحضارة العربية ؟

وخلاصة القول أن الفرقة القومية فى حاجة إلى العلاج ، وهى لن تماثل من أدوائها الزمنة إلا بعناية أطباء بارعين لا يكون منهم فلان وفلان وفلان ، فللفن والأدب أصول لا يعرفها هؤلاء

فإن لم أكن على حق فحدثونى كيف جاز أن تنفرد الفرقة القومية بالإخفاق وقد جمعت نوابغ الممثلين والممثلات ؟ يعوزكم شىء واحد : هو التأليف . فابحثوا عن المؤلفين ، لأن التأليف هو الروح ، وكل شىء فى الفن ما خلا التأليف إخراج وتمثيل .

٢ – مسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

ذلك مشروع جميل أقرته وزارة المعارف ودعت إليه ، وهو حين يحقق على الوجه المنشود يجذب الطلبة إلى مسايرة الأدب الحديث ، ويغرس فيهم الشوق إلى تعقب الآراء الأدبية والمذاهب الاجتماعية

ولكنى لاحظت مع الأسف أن أكثر الطلبة انصرفوا عن الانتفاع بهذا المشروع بعد أن أقبلوا عليه . وقد أخبرنى كثير من المدرسين أن طلبة السنة التوجيهية لم يعرفوا كيف يدرسون المؤلفات المختارة للمسابقة ، وأن المدرسين أنفسهم لا يعرفون على وجه التحقيق كيف يوجهون تلاميذهم إلى درس تلك المؤلفات ، لأن الوزارة لم تضع منهاجاً واضحاً للاستفادة من هذا المشروع الطريف

وقد دعتنى الرغبة فى معاونة طلبة السنة التوجيهية على الاستفادة من مسابقة الجامعة المصرية إلى درس تلك المؤلفات على صفحات « الرسالة » درساً تحليلياً يستطيعون به الوصول إلى ما تشتمل عليه من مقاصد وأغراض، بحيث يصبح الانتفاع من المسابقة ميسوراً لكل طالب يُقبل على درس تلك المؤلفات بعناية واهتمام ، وقد وضح أمامه منهج للفهم والاستقصاء

وسنبدأ فى الأسبوع المقبل بتحليل كتاب « فيض الخاطر » للأستاذ أحمد أمين ، والله بالتوفيق كفيل

زكى مبارك

والرسالة تدعو أصدقاءها من الباحثين إلى معاونة الدكتور المبارك على تحقيق هذا الغرض ، فقد بعد العهد بالنقد الذى يراد به توجيه الشبان إلى فهم الأدب الحديث بطريقة موضوعية ينظر فيها إلى المحاسن قبل أن ينظر إلى العيوب . وقد يتضح المراد إذا تذكرنا أن الشبان يحتاجون إلى التعرف الباسم لأطايب الأدب الحديث ، وذلك فيما نعتقد هو غرض وزارة المعارف من الترحيب بمسابقة الجامعة المصرية لطلبة السنة التوجيهية

معنى القديد

وفق الأستاذ محمد فخر الدين السبكى فى حديثه عن « زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم » الذى أذيع من محطة الإذاعة مساء ٢١ رمضان — توفيقاً كبيراً

بيد أنه فسّر (القديد) — فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم للأعرابى حينما دخل عليه فارتاع من هيبته : « خفض عليك فإنما أنا ابن امرأة تأكل القديد بمكة » — تفسيراً لم أسمعه قط . إذ قال : أى أنا ابن امرأة تأكل التمر الجاف !

والذى أعرفه فى كتب اللغة ، وفى كتب السيرة أن القديد « هو اللحم المشرر المقدد ، أو ما قطع منه طوالاً » اهـ قاموس

« لحم قديد : مشرح طولاً » اهـ مصباح « هو اللحم المجفف ، فعيل بمعنى المفعول تنبيهاً له على أنه مأكول المساكين » اهـ شرح الشفا ، للفاضل على القارى

لهذا لزم التنبيه على ذلك فى الرسالة الغراء والسلام عليكم ورحمة الله

عبد الحفيظ أبو السعود

حول تفسير بيتى ابن عربى

كتب إلىّ أديب من القاهرة فى رسالة خاصة يشرح لى معنى بيتى ابن عربى اللذين استفتيت فيهما الأستاذ ناجى الطنطاوى على صفحات مجلة الرسالة وهما :

بذكر الله تزدادُ الذنوب ... وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل منه حالاً ... فإن الشمس ليس لها غروب

فجاء فى رسالته هذه ما نصه (إن ابن العربى يعارض الآية القرآنية « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، ويدعى أن الله ليس حتماً أن يذكر لأنه حالٌ فينا « كشمس ليس لها غروب » فالذكر فى شرع ابن العربى يبعد بنا عن هذه الشمس ، أما الذى يقربنا منها فشىء آخر يسأل عنه هو ومن اتبعه من المتصوفة لا ناجى الطنطاوى)

وقد رأيت فى هذا الشرح ما تطمئن إليه النفس نوعاً ما فأحببت أن تتفضل مجلة الرسالة الكريمة وتسجله على صفحاتها فلعل من قرائها من ينتظره .

(الأبيض — سودان)

وجاءنا من صاحب الامضاء الفاضل هذه الكلمة فى هذا الموضوع :

عرفت رجلاً صوفياً وسمعت منه شرح هذين البيتين ، قال : « بذكر الله تزداد الذنوب الخ » . فى مذهب القوم ، إنما يُذكر الغائب ، والله تعالى حاضر لا يغيب ، وخاصة فى مقام المشاهدة . فكيف يُذكر ؟ إن ذكره حينئذ يدل على بعد عن ذاته وجلاله . والبعد حرمان يدل على كثرة الذنوب والعيوب . والبعد عن الذات طمس فى البصائر وظلمات فى القلوب

وترك الذكر أفضل كل شيء   فشمس الذات ليس لها غروب

هكذا رويت عنه . وهو وجيه فى نظرى وخاصة لما تضمنه الشطر الثانى من تعليل طريف . قال : إذا استغرق العبد من مقام الشهود ، وبتّ أسبابه بالعالم وما فيه من مخلوقات بائدة ليس لها وجود . فلا داعى للذكر حينئذ ، لأنه فى حال دونها كل ذكر . وكيف يذكر من يراه ومن لا يغيب عنه طرفة عين ؟ لا . إن شمس الذات العلية مشرقة لا تغيب ، وضاءة لا تحتجب ، فذكر الله يدل على غيبته ، وهو سبحانه حاضر مشاهد لا يفنى ، وهو معكم أينما كنتم . اه باختصار .

وحديث القوم لا يفهمه غيرهم لأن لهم رموزاً تدق على الأفهام

محمود محمد بكر هلال

الأدب والانتحار

منذ شهرين انتحر الأستاذ اسماعيل أحمد أدهم بأن ألقى بنفسه فى اليم ليذيب فيه أحزانه ويدفن أحلامه . واختار الأستاذ الموت على هذه الصورة ليروى ظمأه ويطفئ حرارته

وفى هذا الأسبوع انتحر الأستاذ فخرى أبو السعود بأن أطلق على رأسه الرصاص

والأستاذ أبو السعود ليس غريباً عن قراء الرسالة فقد ساهم فى تحريرها عدة أعوام

فهل كان اتفاقاً أن ينتحر أديبان لهما قيمتهما فى المحيط الأدبى؟

أم هى مصادفة ألقت بها المقادير فى هذه الأيام التى كثرت فيها المجائب وطغى الشر

وأين أثر البحر الذى يشيد به الدكتور زكى مبارك فى أعصاب هذين الأديبين

الواقع أن الأديب رجل مرهف الحس شديد التأثر ، له من المنى ما أخفق فيه وما تحقق ، وحتى هؤلاء الذين ظفروا ببعض الأمانى يشعرون بالغبن ويحسون بالنقص

فلم تكن مصادفة أن ينتحر أديبان فى مدة وجيزة وفى بلد واحد هو الاسكندرية

وإنما هو الألم . . . ولعل الأدباء يفكرون فى علاج هــذه الظاهرة قبل أن تجر عليهم الفناء

رحم الله الأستاذ فخرى وأجزل لأدهم الثواب .

عبد العزيز سالم

الحرب والشعر

تفضل الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فأتحف قراء « الرسالة » ببحثه التحليلى الممتع فى العدد الماضى ، وقد قرر فيه أن الحروب لا تشحذ ملكات الشعر ، لأن الشعر فردى ، وإن ما يروج فى أيام الحروب هو الأغانى والأناشيد ، فإن حكمها حكم الخطابة ، لأنها تتردد بين الجماهير فى الاجتماعات ، ثم قال أستاذنا الجليل إن الملاحم فى الأمم البائدة ليست هى التى شحذت تلك الأفكار التى نتج عنها تلك المنظومات الشعرية » .

فهل يسمح الأستاذ الجليل أن أقول : كيف لا تكون الحروب شاحذة للملكات الشعرية فى حين أن أستاذنا نفسه استشهد فى ثنايا مقاله بقطعة شعرية رائعة لشاعر انجليزى ، لولم تكن الحرب لظل مغموراً فى مهنته الطبية ؟ فإذا كانت الحروب تخلق من الطبيب شاعراً ، فكيف بالشاعر المطبوع ؟

وهل يتفضل أستاذنا الجليل ويزيد الموضوع إيضاحاً فى منظومات الملاحم ؟ ولماذا لا تكون دليلاً على أن الحروب تشحذ ملكات الشعر فى حين أنه لو لم تكن الحروب لما كانت تلك المنظومات ؟

أجل ، إن الشعر ينزر فى أيام الحروب ، ولعل السر فى ذلك « ورأى أستاذنا القول الفصل » أن الأمم فى أيام ثوراتها وحروبها تكون منهمكة بشئونها ما بين حاضرها ومستقبلها ، مضطربة الخواطر ، جياشة بمختلف الأحاسيس ، ليس لديها الصبر الكافى لقراءة الشعر والتروية فيه ، فالخطيب يستهويها لأنه يستطيع أن يتخذ من الحوادث اليومية مجالاً لقوله وجلجلته ، فهو لا يحتاج



فتـــوة العطوف

للأستاذ نجيب محفوظ

عند هبوط المساء غادر المعلم « بيومي » الفوال نقطة بوليس الحسينية يحمل « إنذار التشرد » ، يكاد يتصدع صدره من الغضب والغيظ . وكان يرغي ويزبد ويتمتم ويدمدم بأصوات كالخوار ، خشنة مبهمة ، ما زالت تعلو وتميز كلما باعدت الخطا بينه وبين نقطة البوليس ، حتى صارت في ميدان فاروق لعناً وسباباً وقذفاً صريحاً مخيفاً عنيفاً . وجعل يهز قبضة يده الغليظة في الهواء مهدداً متوعداً ، ويدير في الفضاء عينين يتطاير منهما الشرر صيرهما الغضب كجمرتين ملتهبتين. فوقع بصره على (تاكسي) واقف بالميدان ، فقصد إليه ، ورآه السائق — وكان يعرفه — ففتح له الباب ، فاندفع إلى الداخل وارتمى إلى جانبه . وأحس السائق بالثورة المضطرمة في صدر صاحبه ، فسأله عما يقلقه ، ووجد المعلم في السؤال متنفساً عن صدره ، فرمى إليه بالإنذار وهو يصيح غاضباً : « أنظر كيف تعاملني الحكومة السنية ! » ، وشبك يديه على صدره وقال بلهجة تدل على السخرية والحنق : « ألا ترى أنه يحتم عليّ أن أجد عملاً في ظرف عشرين يوماً ، أو تزج بي في السجن مرة أخرى؟ ما شاء الله ! » . واشتد اكفهرار وجهه ، وأرسل من تحت حاجبيه الكثيفين نظرة شريرة ، وكان صاحبه ساهماً متفكراً يردد ناظريه بين وجه المعلم المكفهر والإنذار المبسوط بين يديه

وكانت هيئة المعلم بيومي من الهيئات التي لا يمكن أن تقتحمها العين ، أو تمر بها دون التفات إليها ، لأن صورته كانت حافلة بآي القوة والجسارة . نعم كان مظهره الرث وملابسه البالية القذرة تنطق بما هو عليه من فقر وبؤس ، ولكن هيكله الصلب وصدره العريض وعضلاته المفتولة دالت على القوة والبأس ، ونظرة عينيه وإيماءاته توحي بالكبرياء والعنف ، وتلك الندوب تكتنف وجهه وجبينه ، وآثار من طعن سكين في صفحة عنقه تثبت أنه خاض معارك عنيفة شديدة الهول ، ولذلك أحاط به في غضبه صمت رهيب ألجم ألسنة الأقربين من سائق (التاكسي) الجمود الثقيل . وقد التفت إلى صاحبه وقال في غيظ وحنق : « أنا ... أنا بيومي الفوال . تتنكر لي الدنيا إلى هذا الحد ؟ ! » وكبر عليه الأمر فجعل يضرب كفاً بكف ولسانه لا يكف عن القذف والتهديد ، وأكثر من القذف والتهديد . وقليلاً ما كان يحرك لسانه ساعة الغضب فيما مضى من زمانه . فكان إذا غضب انطوى على الغضب حتى ينزل عقابه الصارم بعدوه ، ولكن لم يبق له من ماضيه ذاك إلا ذكريات تطوفه بين الحين والحين برأسه المثقل . فتنتشر في ظلماته ضياء منيراً مقتبساً من عز الماضي ومجده وسلطانه

كانت نشأة المعلم بيومي في العطوف . وقد شهد صباه الأول على جسارته الطبيعية ، فكان من خيرة صبيان الأعور « فتوة » العطوف الذي أرهب السكان وأعجز رجال الأمن . يجلس بين يديه يستمع إلى قصص مناصراته ويشهد مشاجراته ويخرج في مؤخرة عصابته إذا نفرت لقتال عصابات الدراسة أو الحسينيه عند سفح المقطم ، يحمل في حجره « الزلط » « وقطع الزجاج » يمد بهما المتعاركين من قومه ويلاحظ فنون قتالهم عن كثب ويمتلئ حماسة للقتال وأعمال الجرأة فما شارف الثامنة عشرة حتى اشتد ساعده وانفتلت عضلاته ، ومهر مهارة عجيبة في الضرب « بالروسية » والعصا والسكين والكرسي ؛ واشترك في معارك فردية وجماعية

إلى ساعات يزوّر فيها خطبة ، بل تأتيه الجمل عفو الخاطر ، وقد تكون في أساليبها عادية ، ولكن موقفه الحماسي يجعل لها شأناً آخر ، أما الشاعر فلا بد له من سويعات يجمع فيها أشتات فكره ، ثم يدبج بيراعته صيحاته ، فإن كان شاعراً حقاً عبقرياً استطاع أن ينتصب منبر الخطيب ويستأثر بالجماهير لترديد شعره وقراءته ، كالشاعر الإنجليزي « كبلنج » ، وإلا فهو بالطبع سيمنى بالفشل ، ولعل هذا هو السر في أنه لا ينزل إلى ميدان الشعر في أيام الحروب إلا من وثق من نفسه أنه يستطيع بإلهامه وجودة شعره أن يستأثر بقلوب الجماهير ويحملهم على قراءة شعره

إذاً ، فالحرب تشحذ ملكات الشعر وتجودها ، غير أنها تمتاز بأنه لا يقوى على الظهور فيها والشيوع إلا الشعر العبقري الحق فحسب ، وأنا في انتظار رأي الأستاذ الجليل والسلام

يحيى زبارة
عضو البعثة اليمانية

فأبلى فيها أحسن البلاء . وذاع أمره كتمارك شديد المراس ، يقدم على مقاتلة عشرات الرجال بقلب لا يهاب الموت ، ويدمر مقهى كاملاً إذا حدثت النادل نفسه بمطالبته بثمن مشروب ، وأكبر الأعور فيه هذه الصفات فاصطفاه وآخاه وجعله ساعده الأيمن ، وقاسمه الغنائم والأسلاب . ومات الأعور فخلفه على أريكة « الفتونة » دون شريك . وأبى طموحه عليه الهدوء والراحة ؛ فتحدى فتوة الحسينية وظهر عليه ، وقاتل فتوة الدراسة فهزمه ، وخرج بجموعه إلى الوايلية فأذل كبيرها ومزق جموعه شر ممزق ، ودوى اسمه في تلك الأحياء دوى نذير الثارات ، واستكانت له نفوس الفتوات ، وأفاد من سلطانه فائدة رمقتها عيون الحسد جيلاً طويلاً . فجعل مركزه قهوة غزال بالخرنفش حيث يجتمع بأنصاره وصبيانه . وفرض الأتاوة على كبار الأغنياء والتجار والقهوجية وشركة سوارس يؤدونها إليه صاغرين ، ومن يتردد عن دفع ما يطلب منه عرض نفسه وما يملك للهلاك المبين . هذا غير ما كان يؤجر له من أعمال الانتقام والتهديد وحماية بعض النسوة من أهل الهوى ، وتنافس كثيرون في التودد إليه بإهدائه الهدايا الثمينة ، فكان يتقبلها تقبل الزاهد فيها وهو من غير الشاكرين . وعاش المعلم بيومي في ظل سلطانه عيشة راضية في بلهنية ونعيم . يلبس الجلباب الحرير والعباءة من وبر الجمل ، ويتلفع بالشال الكشمير الفاخر ويركب الدوكار تجره الجياد المطهمة . ثم عشق « عالمة » فتزوج منها وكان فرحه فرح أهل الجمالية والعطوف والدراسة جميعاً ، وانتظمت «زفته» الفتوات من جميع الأحياء وعدداً عديداً من أصحاب « السوابق » وحاملي الإنذارات والمترددين على السجون . . . وأحيا ليالي العرس الشيخ ندا وعبد اللطيف البنا وعبده كشكر . ثم ما زال يعلو نجمه يوماً بعد يوم حتى تسنم ذروة المجد في الانتخابات الأولى عام ١٩٢٤ . فقد أقر بنفوذه كثير من رجالات السياسة في مصر وسعوا إليه يرجون نصرته لهم ويساومون على شراء أصوات أنصاره وأتباعه، وشهدت قهوة غزال محضر باشوات وبيكوات يجلسون إلى المعلم بيومي الفوال متوددين متحادثين . وكان المعلم يصغى لهم ويستولى على نقودهم ، ولكنه في يوم الانتخابات ذهب وصحبه إلى أقسام البوليس يعطون أصواتهم لمرشحي سعد زغلول

ومنذ ذاك العهد وهو يسمى أولئك الباشوات والبيكوات « بالكروديات » على أنه كان يباهي باتصالاته بهم في أحايين كثيرة فيقول في أثناء حديثه « وقال لي الباشا كيت وكيت » وقلت للباشا كيت وكيت

تلك أيام خلت . . . وخلفت وراءها دهراً قاسياً شديد الظلمات . فما يدري أولئك الفتوات إلا والبوليس يضيق بهم ذرعاً ويشمر للقضاء على أعمالهم ، وكان من سياسته أن قذف الحسينية بضابط شاب لم تشهد الداخلية له من قبل نظيراً ، سواء في قوته أم في شجاعته وشدة عناده . وكان يعلم أن هدفه الأول هو المعلم بيومي الفوال ، فلم يحد عنه ، ولم ينتظر الأدلة القانونية لأنه كان يعلم أن أحداً من الناس لن تواتيه شجاعته على الشهادة ضده . فهاجمه بجنوده بغتة وقاده إلى النقطة وأمر الجنود بضربه ضرباً مبرحاً . وأصيب المعلم بذهول شديد لذلك العدوان الجريء . فما كان من الضابط إلا أن أعاد الكرة مرة ومرتين حتى كسر شوكته . ثم جعل يسوقه أمامه محاطاً بجموع الجند الشاكي السلاح يصفعونه في كل منعطف طريق ، ويركلونه أمام كل قهوة وينزلون بمن يظهر لهم من فتيانه أشد العقاب، فأفاق الناس من غشيتهم وانحلت عقدة الذعر الممسكة بألسنتهم فهرعوا إلى رجل الأمن يشكون ويستعدون، ووجد الرجل الدليل الذي يطالبه وزج بالمعلم في غيابات السجون يذوق أشد الأهوال والآلام . وهكذا أخذ المعلم بالإرهاب الذي أخذ به الناس جميعاً . وقضى في السجن بضع سنين . ولما فارقه لم يجد أحداً من الفتوات في استقباله يهنئه ويقول له : « السجن للجدعان » فقد لاذ كل منهم بسبيله ، منهم من سجن ، ومنهم من هجر الحسينية ، ومنهم من راض نفسه على العمل كما يعمل الناس جميعاً سعياً وراء الرزق . فألفى المعلم عالمه مهجوراً كئيباً ، وبعده ذكرى أليمة لا يترحم عليها إنسان ، حتى زوجه ضاقت بفقره وتسوله فهجرته وعادت إلى بنات فنها في شارع محمد علي . وطحنت الآلام تلك النفس الجبارة العاتية . وترنح صاحبها تحت أثقال الهموم لا يستطيع أن يجأر بصوت الشكوى خشية عيون البوليس المحدقة به من كل جانب، وظل على حزنه وألمه حتى تلقى إنذار التشرد الذي يخيره بين العمل أو السجن

طافت برأسه ـ في ساعة بؤسه تلك ـ صور من أيام مجده تراءت راقصة أمام ناظريه خلال أغشية الحزن والألم . وكان صاحبه السائق في تلك الأثناء يراقبه بطرف خفي وأصابعه تعبث بالإنذار الذي أحدث كل ذاك الغضب . وكان يدبر أمراً هاماً

فى عقله . فلما قلبه على أوجهه المحتملة التفت إلى المعلم وسأله :

— ماذا تقول يا معلم لو عرض عليك عمل يدفع عنك غائلة البوليس ؟ ...

وحدجه المعلم بنظرة غريبة دون أن يفوه بكلمة . وتشجع السائق بصمته فاستدرك قائلاً :

— سبق أن علمتك قيادة السيارة . وهى صنعة فى اليد تعمر بيوتاً ، وما من شك فى أنك خبير بالطرق والمواصلات . وأستطيع أن أدلك على عمل فى « الجراج » الذى أعمل فيه على شرط أن تتنازل وترضى ... فما رأيك يا معلم ؟

ولم يسارع المعلم إلى الفرح كما ينبغى لأى رجل فى مكانه ، لأن العمل كان التجربة الوحيدة التى لم يعرفها ، وهو لم يكن شيئاً عظيما قط فى نظر الفتوات المحترفين ، فتوجس منه خيفة ، ولكنه لم يكن فى حالة يستطيع معها رفض ما يعرض عليه ما دام العمل هو المنقذ الوحيد له من السجن . فقال لصاحبه بلهجة لم تخل من الامتعاض : وهل من الممكن أن ألحق بهذا العمل قبل مضى العشرين يوماً ؟

— بغير شك ولا ينقصك إلا شيء واحد . فتساءل المعلم قائلاً :

— وما هو ؟ . . .

— بدلة يامعلم ، لأنه لا يمكن أن تكون «شوفيرا» بغير بدلة . فاشتر بدلة أو أجرها أو استعرها كيفما اتفق . ولكن لا بد من بدلة

ومال إلى التفكير فى الأمر تفكيراً جدياً ووجد نفسه يحاول حل مسألة العثور على بدلة . ولكنه لم يدر له بخلد أن يجد ضالته عند صاحبه السائق أو عند أحد من أقرانه ، لأنه كان يعلم أنهم لا يملكون سوى البدلة التى يلبسونها . على أنه لم ييأس لذلك من العثور على بدلة . فعليه بالأفندية الذين كانوا إلى عهد قريب يتقون أذاه ويرجون خيره ، فلا يمكن أن يضنوا عليه ببدلة قديمة ناطت الأقدار باقتنائها قوام حياته . واعترض على أولئك الأفندية سبلهم وطرق أبوابهم ورجاهم بلهجة غير التى ألفوا أن يسمعوها منه ، أن يتنازلوا له عن بدلة قديمة ، ولكنهم ردوا عليه بأوجه من الأعذار لا تنفد ، فقال فريق إنهم لا يملكون سوى بدلة واحدة غير التى يلبسونها ، واعتذر فريق آخر بسوء الحال وكثرة العيال ووطأة الأزمة . وقال واحد بقحة إن خادمه أحق ببدلته القديمة .

وعجب المعلم لأولئك الأوشاب واهتاجه الغضب اهتياجاً شديداً وقال لنفسه بإصرار وعناد « ما دامت البدلة تنقذنى من السجن فسأحصل عليها مهما كلفنى ذلك من العناد » وكان يتخبط فى الطريق على غير هدى حين وجد نفسه اتفاقاً أمام دكان كواء عند مبتدأ شارع السبيل ، فألقى عليها نظرة سريعة لصقت بالبدلة المعلقة ، فتراخت ساقاه عن المشى وأسند ظهره إلى شجرة قريبة ومضى يتفرس فى البدل المتراصة تفرس الجائع المنهوم فى فرن الحاتى الملىء بالشواء من اللحوم ، ثم عاين المكان فرأى الدكان قائماً إلى جانب جراج يحدها من الخلف صحراء العيون . ودارت برأسه خواطر محمومة عنيفة وعزم عزماً أكيداً

وأصبح الصباح وجاء الكواء يفتح دكانه فما راعه إلا أن رأى فى ظهرها ثغرة فانخلع قلبه وهرع إلى ثياب زبائنه . ووجدها كاملة إلا بدلة واحدة ... فكانت دهشته قدر انزعاجه !

وصار المعلم بيومى سائقاً تاكسى ولم يعد لضابط نقطة الحسينية من سلطان عليه ، ولأمر ما اختار الجيزة ميداناً لعمله فاراً بالبدلة التى لم تهده الحيلة إلى صبغها أو قلبها كما كان ينبغى أن يفعل اللص الماهر . وما كان يصبر على نظام العمل لولا أن السجن كان عوده على ما هو أشد إيلاماً ومقتاً ، فرضى كارهاً أن يلبى النداء ويحمل الراكبين ، ويبدى احترامه لمن كان بالأمس ينظر إليهم شزراً ويدعوهم « بالكرديات » ...

ولم تخل حياته فى ذلك المهجر من حوادث ، ففى ذات أصيل وكان مضى عليه ما يقارب الشهر فى عمله . وكان ينتظر فى موقفه ، برز رجل وجيه من باب الفانتزيو وناداه ، ولبى المعلم مسرعاً وترك مقعده ليفتح الباب للسيد الوجيه ومضت دقيقة وهو ينتظر والرجل لا يتحرك ، فعجب المعلم للأمر ونظر إلى الرجل فرآه ينظر إليه بإنكار بل رآه يتمم النظر فى بدلته . وخفق قلب المعلم واضطرب وأحس كمن وقع فى فخ ، وهم بالتحرك ولكن الرجل دنا منه وأمسك بالياقة بسرعة وثناها ليقرأ اسم الطرازى ثم قبض على ذراع المعلم وصاح به بغضب :

— قف يا لص ... من أين لك هذه البدلة ؟

ونادى الشرطى بصوت عال . فحدجه المعلم بنظرة نارية وكان يستطيع بغير شك أن يبطش به لو أراد ، ولكنه استشعر بأساً غريباً خرج به عن وعيه فما يدرى إلا والشرطى يقبض عليه ...

والظاهر أن الحظ الذى حالفه قديماً تخلى عنه إلى الأبد ، وإنه ليعانى الآن آلام السجن ؛ والله وحده يعلم ما هو صانع به بعد ذلك

نجيب محفوظ

الفنـــون أسرار

للأستاذ عبد اللطيف النشار

كانت غرفة المكتبة فى منزل المسيو « بنديبى » محتوية على (دواليب) قصيرة ذات طبقتين وفوق ظهورها عدد غير قليل من الصور والتماثيل الصغيرة والعاديات والتحف المختلفة الأنواع والأشكال ، وكان « بنديبى » على فقره رجلاً على درجة من الأهمية لاشتغاله بالآداب والفنون ، وكانت التحف الموضوعة فوق دواليبه مجردة عن النظام والترتيب ، وكانت زوجته مدام بنديبى الضعيفة البصر تعانى جهداً فى تنظيف الدواليب وما فوقها بمكنستها الصغيرة المصنوعة من ريش النعام

وفى يوم من الأيام أدت واجبها بالمنزل وجلست مستندة إلى ذراعى مقعد كبير تنتظر عودة زوجها فعاد وعلى وجهه كل علائم الاهتمام وقال : « انظرى إلى هذه القطعة » وأشار بأصبعه إلى شىء فوق الدولاب واستمر يقول : « لقد استكشفت أن هذه القطعة الفنية تساوى مائة ألف فرنك » . فأدارت السيدة نظرها الضعيف إلى حيث يشير أصبعه ورأت طبقاً عادياً من أطباق الحساء (سلطانية) فقالت : « أحقاً إنها تقوم بهذا الثمن ؟ »

قال المسيو بنديبى : « نعم والذى قومها بهذا الثمن من أشهر هواة العاديات ، وقد رفضت بيعها مع إلحاحه فى طلبها . وماذا أفعل بالمال ؟ إننى لست تاجراً ولكننى هاو . وأذكرك أيضاً بأنى كلما اشتريت تحفة من هذه التحف كنت تقولين لى إنها حقيرة لا تساوى شيئاً ، فهل تقدرين الآن أننى كنت مصيباً لما اشتريت هذه القطعة بسبعة فرنكات ؟ »

ومن ذاك اليوم لم تكن الزوجة تجرؤ على أن تمس الطبق خوفاً عليه من الكسر . وكانت تنظر إليـه فتتذكر أنه كان فى بيت جدها آنية مثله تماماً . وأنها كسرت فلم يحزن عليها أحد ، فكانت تقول فى نفسها : « حقاً إن الفن كله أسرار . وكان زوجها يقول : « أنظرى إلى بهجة لونها وإلى الرنين الذى تحدثه عند لمسها بالأصبع » . فتنظر ولكنها لا تجد جديداً فى اللون ولا فى الرنين . وكان الأولى بها أن تقول ما تعتقد ؛ فيحاول زوجها إقناعها ، وتنكشف لها الحقيقة فتعرف خطأها .

ولكنها كانت توافق زوجها إذعاناً . وكان ذلك من سوء حظها ، فمات زوجها بعد أمد قصير ولم يبين لها سر الفن الذى يعرفه هو وجامع العاديات الذى عرض عليه مائة ألف فرنك فى القطعة الأثرية . ولم تكن القطعة هى الآنية ، ولكنها تمثال فتاة كان موضوعاً خلف الآنية . وكانت تلك المسكينة لضعف بصرها تحسب زوجها يشير إلى الآنية . وبعد موته رأت مدام بنديبى أن تبيع كل ما تركه زوجها إلا الآنية ؛ واستدعت أحد الهواة فأرته المكتبة وما فوق دواليبها ، وقالت إنها تريد أن تبيع ذلك كله صفقة واحدة . وكان التمثال لسوء الحظ لا يزال موجوداً وراء الآنية ، فنظر المشترى إلى كل الأشياء فأدرك قيمة التمثال وأشار إليه وقال : « وهل تدخل هذه القطعة ضمن الصفقة ؟ » فصاحت الأرملة محتدة « الآنية ! كلا فإننى لا أبيعها ، فهى أنفس شىء عندى . إننى لا أبيع هذه الأشياء لأنى محتاجة إلى الثمن ، ولكن لأنه ليس لها لزوم عندى » . ونظر المشترى إليها وقدر أنها مجنونة فلم يناقشها ؛ واشترى التمثال بخمسين فرنكا ثم باعه بعد ذلك فى أمريكا بنصف مليون . وباعت السيدة سائر التحف والمنزل وما فيه . وأخذت الآنية معها وذهبت إلى الريف . ولاحظ خدمها الجدد وأقاربها وجيرانها أنها لا تخشى على شىء غير الآنية ، وأنها تحذرهم من المساس بها كل التحذير . وشاع فى القرية أنها تعبد آنيتها هذه ، وأن عقلها غير سليم

وأخذوا يناقشونها وهى تجتهد فى طلب سكوتهم ، وتزيد فى حرصها على آنيتها وإيصاء الخدم بها ، فاستدعى أهلها طبيباً ، وسألها الطبيب عن سر هذه الآنية . فقالت : إنها مستعدة لإطلاعه على الحقيقة على شرط أن يساعدها على الكتمان فالأمر سر عظيم ؛ وقالت : « لقد اشترى زوجى هـذه الآنية بسبعة فرنكات وهى الآن تساوى مائة ألف فرنك كما قرر ذلك أحد الهواة »

قال الطبيب : « أظنك يا سيدتى تمزحين ، فإن هذه الآنية لا تساوى شيئاً وأكثر العائلات تملك نظائرها » . فقالت : «أو بمثل هذه البهجة فى اللون ؟ وهل تحدث مثل هذا الرنين ؟!»

فاضطرب الطبيب ودهش لثقتها بشىء لا وجود له ، فلم يكن للآنية لون مبهج ولا لها أى رنين . ولم يشأ مجادلتها لاعتقاده أن مرضها هو « الجنون بالفكرة الواحدة » وأنها إذا عوجلت فقد تشفى . وبناء على قرار الطبيب نقلها أقاربها إلى مستشفى الأمراض العقلية ، فدخلته راضية ومعها الآنية ؛ ولم يهمها هذا الانتقال ما دامت معها هذه الثروة العظيمة ، ولم يضن أهلها عليها بها ولكنها انتقاماً منهم لكيلا يرثوها أوصت بها لمتحف « اللوفر »

ومن يدرى كم بالمتاحف من أمثال هـذا الأثر ؟ أليست الفنون كلها أسراراً ؟ (عن الفرنسية) عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع البدولى — عابدين)